ماركس . انجلس . لينين

الطريق الى الاشتراكية مع تخطي الرأسمالية

دار الثقافة الجديدة

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / يوسف درويش
القاهرة

الطريق الى الاشتراكية
مع تخطي الرأسمالية

الناشر
دار الثقافة الجديدة
٣٢ ش صبرى أبو علم
☎ ٧٤٢٨٨٠

غلاف : محمد عزام

ماركس . انجلس . لينين

الطريق الى الاشتراكية مع تخطي الرأسمالية

فاديم تروبنيكوف

تحوى المجموعة مقتطفات من مؤلفات كلاسيكي الماركسية-اللينينية حول امكانيات الانتقال إلى الاشتراكية دون المرور بالرأسمالية . ويتضمن القسم الأخير من المجموعة الوثائق الخاصة بتطبيق أفكار الماركسية اللينينية .

واضع هذا الكتاب هو فاديم تروبنيكوف الدكتور فى الفلسفة وقد كتب أيضا مقدمة الكتاب والتعليق على مواده .

مقدمة

بدأت العملية الثورية لتحرر الشعوب التى كانت خاضعة لاستبداد الامبريالية فور انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا عام ١٩١٧ ، واتسعت بقوة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية فى ظروف تحول الاشتراكية إلى نظام عالمى جبار .

وكان لتغير تناسب القوى على المسرح الدولى لصالح السلام والديموقراطية والاشتراكية تأثير هائل فى إنهاض حركة التحرر الوطنى ، التى كان من نتائجها أن نفض أكثر من ١٠٠ بلد من بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية نير الاستعمار عن كاهله والحصول على الاستقلال السياسى . وبمجرد حصول الدول الفتية على استقلالها السياسى ، صادفتها مشكلة بالغة الحدة هى اختيار طرق التطور والبحث عن سبل القضاء على التخلف الشديد فى التطور الاقتصادى والعلمى التكنيكى والثقافى التى ورثته عن الماضى الاستعمارى .

ما هو الطريق الذى تسير عليه ؟ وأى النظم السياسية والاقتصادية تفى أكثر من غيرها باحتياجات التطور الوطنى المستقل والتقدم الاجتماعى السريع ؟ أو بعبارة أوضح كان عليها أن تختار بين الرأسمالية والاشتراكية .

وطبيعى أن يظهر عند اختيار طريق التطور اهتمام لابد منه بالسوابق التاريخية ، والأهم من ذلك بالنظرية التى تساعد على حسم هذا الخيار .

ويرجع الفضل العظيم فى وضع نظرية الطريق اللارأسمالى إلى الاشتراكية إلى كل من كارل ماركس وفردريك انجلس وفلاديمير ايليتش لينين .

مولد النظرية

مر المجتمع البشرى فى حركته التاريخية بعدة مراحل متعاقبة للتطور وقد أطلق عليها مؤسسا الماركسية ـ اللذان قاما لأول مرة بإثبات هذه الفكرة علميا ـ التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية . وهذه التشكيلات هى النظام المشاعى البدائى ونظام الرق ونظام الإقطاع والرأسمالية ، وأخيرا الشيوعية ، والاشتراكية هى الطور الأول للتشكيل الشيوعى .

وإذا تكلمنا عن البشرية ككل ، فليس بوسعها أن تتخطى أياً من هذه المراحل الطبيعية للتطور ، ولكن أيعنى هذا أنه كتب على جميع شعوب العالم أن تجتاز « دوائر عذاب » التشكيلات الاستغلالية التى فرضها التاريخ لكى تقترب فى النهاية من مجتمع خال من الاستغلال والظلم هو مجتمع الاشتراكية ؟ لقد أجاب واضعا الاشتراكية العلمية إجابة واضحة عن هذا السؤال .

فقد أبرز كارل ماركس غير مرة استحالة تحويل تعاليمه بصدد مراحل تطور البشرية إلى نظرية تاريخية فلسفية عن طريق عام يتحتم على الشعوب كافة أن تسير عليه مهما كانت ظروفها التاريخية . فبعض البلدان والشعوب (المتخلفة عن الدول الأخرى لأسباب شتى) قد لا تجتاز كافة المراحل فى تطورها الاقتصادى ويمكنها ، فى ظروف تاريخية معينة ، الانتقال إلى الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية .

ومنذ السبعينات من القرن التاسع عشر أخذ كارل ماركس وفريدريك انجلس يوليان عناية كبيرة بوجه خاص لمشكلة الآفاق الاشتراكية لتطور هذه البلدان . وفى ذلك الوقت خرج طرح هذه المشكلة عن الإطارات النظرية العامة وتجسد فى نظرية وضعت بشيء من التفصيل عن الطريق اللارأسمالى للتطور . ولم يكن هذا محض صدفة . فقد كان النهوض الثورى فى روسيا آنذاك يتطلب إدراكا نظريا عميقا للأوضاع ، وفهما واضحا لطرق تطور هذا البلد فى حالة وقوع الثورة والتأثير الذى يمكن أن تضفيه على نضال البروليتاريا فى غرب أوروبا .

وكانت روسيا فى ذلك الوقت ملكية شبه إقطاعية فرغت لتوها من القضاء على نظم الرق الاقطاعى فى القرية ، ولم يكن بها صناعة حديثة

تقريبا . وكانت البروليتاريا ماتزال فى طور التكون . ونضجت فى البلاد ثورة شعبية ديموقراطية موجهة ضد نظام الحكم المطلق وضد بقايا الإقطاع التى ظلت قائمة بقوة فى النظام الاجتماعى والاقتصادى

وفى هذه الظروف طرح الثوار الروس ذوو النزعة الفلاحية خطة طوباوية لتحول البلاد المباشر إلى الاشتراكية عن طريق ثورة فلاحية. وكانوا يعتبرون أن روسيا المتخلفة اقتصاديا تستطيع ، باعتمادها على المشاعة الريفية ذات الملكية المشتركة للأرض وإعادة تقسيم الأرض سواسية بصفة دورية ، « كخلية » جاهزة للنظام الجديد ، تستطيع تحقيق وثبة إلى عالم الاشتراكية قبل انتصار الثورات الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية الأكثر تطورا . وعلى هذا كان على روسيا الزراعية شبه الإقطاعية وفقا لفكرة الفلاحين الاشتراكيين الطوباويين أن تسير بالبشرية نحو الاشتراكية .

وإذ فهم مؤسسا الاشتراكية العلمية أهمية الاسترشاد السليم للثوار الفلاحين فى روسيا آنذاك فى المسائل المعقدة للثورة المقبلة ، دخلا فى نقاش معهم حول طرق انتقال البلد المتخلف إقتصاديا إلى الاشتراكية لخص فريدريك انجلس وجهات نظره هو وكارل ماركس فى هذه المشكلة بشكل مرتب لأول مرة فى مقالة « حول المسألة الاجتماعية فى روسيا » التى كتبت عام ١٨٧٥ .

وأشار انجلس إلى أن الإنتقال إلى الإشتراكية فى روسيا المتخلفة آنذاك « لا يمكن أن يتحقق إلا فى حالة قيام ثورة بروليتارية ظافرة فى أوروبا الغربية — قبل الإنهيار النهائى لهذه الملكية المشاعية — بحيث توفر للفلاح الروسى الظروف الملائمة لهذا الإنتقال ... »

وشرح كارل ماركس وفريدريك انجلس فى مقالاتهما ورسائلهما اللاحقة ، التى يجد القارىء أهمها على صفحات هذا الكتيب ، بصبر للثوار الفلاحين عدم إمكانية تحقيق خططهم ، وحددا الشروط الموضوعية اللازمة التى يستطيع إزاءها البلد المتخلف إقتصاديا الانتقال إلى الاشتراكية .

فى سبعينيات القرن التاسع عشر أخذت تتضح فى روسيا تغيرات ملموسة ، وأخذت المشاعة الريفية فيها تتحلل بسرعة عاصفة تحت وطأة العلاقات الرأسمالية المتطورة فتتكشف التفاوت الطبقى بين الفلاحين على نحو متزايد الوضوح . وخرجت الطبقة العاملة بثقة إلى صدر مسرح التاريخ الروسى . وفى مجرى تقييم كل هذه الظروف كتب انجلس عام ١٨٩٢ إلى مراسله الروسى قائلا : « أخشى أن يتأتى علينا النظر إلى مشاعتكم كحلم من أحلام الماضى الذى لا يمكن إرجاعه وأن نضع اعتبارا فى المستقبل لروسيا الرأسمالية . وما من شك والحال كذلك أن نضيع إمكانية هائلة . ولكن لا يمكن عمل شىء ضد الحقائق

الاقتصادية »*.

ووصلت روسيا إلى الاشتراكية عبر مرحلة التطور الرأسمالى كما تنبأ مبدعا الماركسية. إنطلق ماركس وانجلس فى البحث عن الطرق الممكنة لتطوير روسيا شبه الإقطاعية آنذاك بعد انتصار الثورة الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية الأكثر تطورا، من القوانين الاجتماعية العامة للتقدم التاريخى، وصاغا شروطا عامة يمكن فى ظلها للبلد المتخلف إقتصاديا تخطى المرحلة الرأسمالية من التطور.

وتكمن القوة الحيوية للتحليل الماركسى العلمى للقوانين الموضوعية لتطور المجتمع فى صلاحيتها الشاملة للتطبيق. فقد تتغير أوضاع تاريخية محـــددة ولكن القوانين التاريخية ذاتها لا تتغير. ولذا فإن الشروط

---

* ماركس، انجلس. المؤلفات. الطبعة الروسية الثانية. المجلد ٣٨، ص ٢٦٥. أن أعمال مؤسسى الماركسية التى يحتوى عليها هذا الكتاب والتى توضح وجهة نظرهما بالنسبة لدور المشاعة فى انتقال الفلاحين إلى الاشتراكية لا تزال ملحة حتى اليوم. إذ تعتبر المشاعة فى أيامنا هذه أيضا نظاماً أساسياً تقليدياً فى أكثرية بلدان آسيا وأفريقيا لا يحدد فى نواحى كثيرة معدلات وطرق نمو الإنتاج الزراعى وحسب بل ويحدد معدلات وطرق تطور المجتمع ككل.

الخارجية والداخلية التى صاغها مؤسسا الماركسية والتى يمكن فى ظلها حدوث التطور اللا رأسمالى ما زالت بالغـــة الأهمية فى عصرنا الراهن أيضا .

ولقد أشار انجلس فى أحد مؤلفاته الأخيرة عام ١٨٩٤ ، معمماً وجهة نظره هو وماركس بصدد طريق تطور الدول المتخلفة إقتصاديا إلى الاشتراكية إلى أنه « بعد أن يتحقق التغلب على الاقتصاد الرأسمالى فى وطنه وفى البلدان التى حقق فيها إزدهارا ، وعندما ترى البلدان المتخلفة ، على ضوء هذا المثال ، « كيف يتحقق ذلك ، وكيف توضع القوى المنتجة للصناعة الحديثة على هيئة ملكية اجتماعية لخدمة المجتمع بأسره ، حينئذ فقط تستطيع هذه البلدان المتخلفة على الوقوف على طريق هذه العملية المختصرة للتطور . ولكن نجاحها فى هذه الحال مضمون دائما » .

لقد وضع ماركس وانجلس نظرية علميه ثورية لإعادة تنظيم العالم ، وحددا بوضوح وجلاء فى مؤلفاتهما الشروط الأساسية لحركة البلدان التى لم تمر بمرحلة التطور الرأسمالى نحو الاشتراكية . ووفقا لرأيهما فإن هذه الشروط هى : ١ ــ الانتصار المسبق للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية الأكثر تقدما، ٢ ــ الثورة الديموقراطية التدريجية فى البلدان المتخلفة إقتصاديا ، والقادرة على أن تتخطى إطارها تحت

تأثير وتأييد الاشتراكية التى ترسخت فى البلدان الأكثر تقدماً .

٣ — التحول الثورى التدريجى للحياة السياسية والاقتصادية فى البلدان المتخلفة عن غيرها ، مع أخذ التجربة التاريخية فى البلدان التى عمت فيها الاشتراكية بعين الاعتبار .

٤ — المساعدة التى تقدمها الطبقة العاملة المنتصرة فى البلدان المتقدمة إلى البلدان المتخلفة فى إنشاء القاعدة المادية للاشتراكية ، والتى تتيح التعبئة الفعالة لجميع الموارد الداخلية من أجل البناء الوطنى .

٥ — إستغلال بعض السمات الإيجابية لمجتمع ما قبل الرأسمالية (الملكية المشاعية للأرض والتقاليد الجماعية) والتى تسهل الحركة نحو الاشتراكية فى هذه البلدان .

وبالطبع فإن الانتقال إلى الطريق اللارأسمالى للتطور فى خطواته الأولى لا يعنى فى رأى ماركس وانجلس البناء المباشر للاشتراكية على الرغم من قيام بعض العناصر الاشتراكية فى الحياة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية على حد سواء ، وذلك أثناء عملية الحد التدريجى من العلاقات الاستغلالية والقضاء عليها .

فالاشتراكية لا يمكن إدخالها بمرسوم يصدر لمرة واحدة فقط ، لأن النظام الاجتماعى الجديد ليس مجرد مبادىء عادلة لتوزيع الخيرات

المادية وإنما هو فى المقام الأول مستوى عال لتطوير القوى المنتجة ، وهو شكل من أشكال المجتمع جديد كيفيا يقوم على اقتصاد عالى التطور ودون أبعاد معلومة لتقدم القوى المنتجة لا يمكن إفساح المجال أمام العلاقات الإنتاجية الاشتراكية والمبادىء الاشتراكية لدفع أجر عمل جميع أعضاء المجتمع وفقا لكمه ونوعه بالاتساع المطلوب . وفى حالة مقابلة لا يمكن إلا إنشاء صورة هزلية للاشتراكية : مجتمع يسوده الفقر المتساوى المتعادل أو مجتمع « شيوعية الثكنات » كما أسماه ماركس بتهكم .

إن مرحلة التطور اللارأسمالى هى فترة تاريخية يجرى فيها بوعى وبطريقة منهجية ولصالح الكادحين وباشتراكهم النشيط وفى مدد تاريخية قصيرة إعداد المقومات المادية (المستوى الملائم للقوى المنتجة) والاجتماعية (الوزن النوعى الكبير للطبقة العاملة) والسياسيه (الوعى الطبقى الرفيع للكادحين ووجود الحزب التقدمى المسلح بالنظرية العلمية للتطور الاجتماعى) ، تلك المقومات التى يولدها مجرى التطور الرأسمالى ذاته خلال فترة طويلة جدا فى ظل التطور « الطبيعى » . وأكد انجلس أن الشعوب المتخلفة يمكنها ، فى ظل التطور اللارأسمالى وبمساعدة البروليتاريا المنتصرة فى البلدان المتقدمة إختصار عملية تطورها إلى المجتمع الاشتراكى إلى حد كبير وتجنب الجزء الأكبر من تلك المعاناة وذلك النضال الذين يتأتى على شعوب أوروبا تمهيد الطريق عبرهما .

وقد أشار مؤسسا الماركسية إلى أن الشعوب التى كانت متخلفة لا يمكنها أن تنتقل إلى مرحلة البناء الواسع للاشتراكية إلا بعد انتهاء هذه المرحلة التمهيدية .

عصر جديد ومهام جديدة

أحدث دخول الرأسمالية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين طورها الأخير — الامبريالى ، تغييرات هامة فى مسار العملية الثورية العالمية . وإذا كان بمقدور الثورة الاشتراكية فى حياة ماركس وانجلس — فترة الرأسمالية قبل الاحتكارية — أن تنتصر فى نفس الوقت فى كافة أو معظم البلدان الرأسمالية المتطورة ، فقد ظهرت فى العصر الإمبريالى ، مع ما يتسم به من تشديد حاد فى عدم انتظام التطور السياسى والاقتصادى للدول الرأسمالية وتفاقم التناقضات الإمبريالية ، ظهرت إمكانية انتصار البروليتاريا فى عدة بلاد رأسمالية فى بادىء الأمر أو حتى فى بلد منفصل على حدة .

وغيرت هذه الخاصية الهامة للعصر الجديد إلى حد كبير صورة عملية انتقال البشرية إلى الاشتراكية ، بالمقارنة بما افترضه ماركس وانجلس فى حينه : تظل على خريطة العالم ، ولوقت طويل ، منطقة للرأسمالية المتطورة ذات قوة كبيرة للغاية ، إلى جانب البلدان

الاشتراكية وبلدان النماذج الاقتصادية قبل الرأسمالية .

ولكن ألا يلغى هذا الوضع العالمى الجديد نفس الإمكانية المتاحة للبلدان المتخلفة إقتصاديا لتخطى مرحلة الرأسماليه؟ لقد انطلق ماركس وانجلس بالذات فى نظريتهما بصدد الطريق اللارأسمالى للتطور من القضاء على النظام البرجوازى فى كل منطقة الرأسمالية المتطورة فى آن واحد ، نتيجة للثورة الاشتراكية .

وهذا الاستنتاج بالذات هو الذى حـــاول الاشتراكيون الديموقراطيون اليمينيون فرضه على الحركة العمالية فى البلدان الرأسمالية المتطورة فى أوائل القرن العشرين ، مدافعين عن السياسة الاستعمارية لحكوماتهم الإمبريالية . وفى عام ١٩٠٤ بعد وفاة كل من ماركس وانجلس حاول فان كول ، أحد زعماء الاشتراكيين الديموقراطيين بغرب أوروبا تفنيد استنتاج مؤسسى الماركسية حول إمكانية الطريق اللارأسمالى للتطور . وأعلن من على منبر المؤتمر العالمى للاشتراكيين أن فرضية ماركس بأن بعض البلدان تستطيع ولو جزئيا تجنب فترة الراسمالية فى نموها الاقتصادى لم تتحقق : فالشعوب البدائية لا تأتى إلى المدنية إلا بعد اجتياز هذا الطريق الشاق الأليم . وبناء على ذلك فإن واجبنا ، حسب زعم فان كول ، هو عدم إعاقة تطور الرأسمالية بوصفها حركة ضرورية فى تاريخ البشرية ، بل يمكننا أن نساعد على مولدها بتخفيف آلام الوضع .

وهكذا ظهرت النظرية الاشتراكية اليمينية الزائفة عن حتمية وفائدة المرحلة الرأسمالية من التطور لكافة البلدان دون استثناء والتى مازالت تحتل مكانة هامة اليوم أيضا فى الترسانة العقائدية للاشتراكية الديموقراطية فى الغرب .

لينين والمصائر التاريخية للشعوب المضطهدة

يرجع الفضل التاريخى الهائل للينين الذى واصل قضية ماركس وانجلس فى أنه استطاع كذلك أن يحمى آراء سلفيه العظيمين وتنظيفها من التحريفات الزائفة فيما يتعلق بطرق التقدم الاجتماعى للبلدان المتخلفة اقتصاديا ، ولقد برهن باقناع فى أعماله النظرية على أن إمكانية التطور اللارأسمالى فى الظروف التاريخية الجديدة لا تختفى بل تصبح الطريق الرئيسى للتقدم الاجتماعى السريع لشعوب عالم المستعمرات التى لم تمر بمرحلة الرأسمالية .

وبالرغم من أن الإمبريالية تهيء بعض التطور فى العلاقات الرأسمالية فى البلدان المتخلفة إقتصاديا ، فإن أساس سياسة الإمبريالية بالنسبة لهـــذه البلدان هو استرقاقها وعرقلة تطورها الاقتصادى والثقافى والاحتفاظ لها بدور التوابع الزراعية ومصادر الخامات للدول الإمبريالية المتطورة صناعياً . إن الحفاظ على تخلف المستعمرات جزء لا يتجزأ من سياسة الإمبريالية .

وإذا كانت الرأسمالية ما قبل الاحتكارية قد أتاحت لبعض البلدان فى عصر التنافس الحر فرصة الانطلاق إلى الأمام على طرق التطور الاقتصادى (التى تعتبر اليابان مثالا لها) فقد اختفت هذه الإمكانية عمليا فى ظروف الإمبريالية . والرأسمالية الاحتكارية للدول الاستعمارية لا تقتصر كما بين لينين ، على إلغاء إمكانية النمو السريع لاقتصاد البلدان المتخلفة إقتصاديا ، ومن ثم تقويم مستويات التطور الاقتصادى مع البلدان البرجوازية الطليعية ، وإنما تؤدى أيضا إلى تعميق الفجوة بين هذه المستويات . وأصبح النضال من أجل التحرر الوطنى ، ومن ثم الاستقلال الاقتصادى ، فى هذه الظروف مسألة حياة أو موت بالنسبة لشعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات .

وهكذا فإن نفس منطق التطور التاريخى فى العصر الجديد قد حول حركة التحرر الوطنى إلى أهم قوة ثورية عالمية إلى جانب الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية . وأصبحت حركة الشعوب المضطهدة فى سبيل تحررها حليفاً مباشراً للطبقة العاملة العالمية فى النضال من أجل الإطاحة بالرأسمالية . وتنبأ لينين بثقة « أن حركة أكثرية سكان الكرة الأرضية التى تتخذ فى البدء وجهة التحرر الوطنى ، ستنقلب على الرأسمالية الإمبريالية ... » .

كم يتميز هذا الاستنتاج الجرىء المتفائل لزعيم البروليتاريا الثورية

عن « نصائح » التحريفية العالمية بالجلوس مكتوفى الأيدى فى انتظار أن يؤدى تطور الرأسمالية المحلية بشعوب المستعمرات والبلدان التابعة تلقائياً إلى عالم الاشتراكية . وعلى حد تشبيه لينين فإنه علينا فى هذه الحال أن ننتظر إلى أبد الآبدين .

وإلى جانب قيام لينين بتطويره ، بعد ماركس وانجلس ، مبدأ ضرورة الانتصار التمهيدى للاشتراكية فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، ومعونة البروليتاريا الظافرة للشعوب التى كانت مضطهدة كشرط رئيسى لتحركها نحو الاشتراكية ، فقد نقد المبادىء الخاطئة لبعض البرجوازيين الصغار والفلاحين من زعماء حركة التحرر الوطنى الذين لم يأخذوا أحيانا بالاعتبار فى خططهم الخاصة بالتحول الاشتراكى للمجتمع ، ذلك الشرط الحتمى القائل بالتحالف الوثيق مع البروليتاريا المنتصرة فى بلدانها ، ومن ثم حكموا على أنفسهم بالفشل .

وكما أكد لينين فى عام ١٩١٦ ، أى قبل قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى فى روسيا بعام كامل ، فإن الطبقة العاملة المنتصرة فى البلدان الأكثر تقدما ستستطيع وحدها أن تقدم « المساعدة الثقافية النزيهة » إلى هذه الشعوب المتأخرة والمظلومة أكثر منا أى مساعدتها على الإنتقال إلى استخدام الماكينات وتسهيل العمل ، على الإنتقال إلى الديموقراطية ... إلى الاشتراكية » .

أول اختبار للتاريخ

طرح انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا من فوره على بساط البحث مهمة جذب الشعوب المتخلفة إقتصاديا فى الأطراف القومية بالبلاد حيث كان يقطنها أكثر من ٢٥ مليون نسمة، إلى الاشتراكية . وقد كانت شعوب آسيا الوسطى السوفيتية — الكازاخ والأوزبيك والتركمان والقيرغيز والطاجيك وغيرها — وبعض شعوب القوقاز وسيبيريا والشمال الأقصى تعيش آنذاك فى ظروف ما قبل الرأسمالية — الإقطاعية ، زد على ذلك أيضا أشكال الاقتصاد العشائرية . وهنا بالذات كان على نظرية التطور اللارأسمالى التى وضعها ماركس وانجلس ولينين أن تمر بأول تجربة تاريخية .

فكيف كانت آسيا الوسطى على سبيل المثال حتى لحظة انتصار الثورة ؟ كانت أحد الأطراف العادية لروسيا القيصرية لا تتميز من حيث مستواها الاقتصادى والثقافى عن غالبية المستعمرات فى آسيا وأفريقيا . وكان ٨٠ ٪ من السكان يعملون فى المزارع الإقطاعية وشبه الإقطاعية . وتدل على مستوى العصور الوسطى للتكنيك الزراعى حقيقة أن المحراث الحديدى البسيط لم يكن موجودا سوى فى مزرعة واحدة بين كل ٨٠٠ مزرعة فلاحية فى المتوسط . وكانت الهوة هائلة فى

مستوى التطور الصناعي بين وسط روسيا الرأسمالي المتطور ووسط آسيا وعلى سبيل المثال كان إنتاج منطقة موسكو الصناعية من المنتجات الصناعية محسوبا للفرد الواحد من السكان يزيد ٢٧ ضعفا عنه في آسيا الوسطى (التي كانت تسمى تركستان آنذاك).

كان ذلك حال مستوى الانطلاق الذي بدأت منه شعوب آسيا الوسطى السوفيتية طريقها إلى الاشتراكية دون المرور بالرأسمالية.

وبعد أن قامت السلطة السوفييتية بعد الثورة مباشرة بالقضاء على عدم المساواة السياسي بين الشعوب التي كانت مضطهدة وتخويلها حق تقرير المصير وتشكيل جمهوريات ذات سيادة، قامت السلطة بتركيز انتباهها على حل أعقد المشكلات ألا وهي القضاء على التخلف الاقتصادي والثقافي ورفع مستوى الشعوب التي كانت متخلفة في روسيا إلى مستوى الشعوب المتقدمة.

إن الحزب الشيوعي ولينين، بتعميمهما تجربة بناء الاشتراكية في روسيا السوفييتية وقبل كل شيء في أطرافها المتخلفة، توصلا إلى استنتاجات نظرية جديدة حول طرائق تناول المهام الاشتراكية في المناطق غير المتطورة إقتصاديا وحول الدور الذي تلعبه التعاونيات ورأسمالية الدول والامتيازات الأجنبية .. الخ في هذه التحويلات.

وكان حزب لينين والطبقة العاملة الروسية بريان فى ذلك واحدة من أهم مهامهما . ولم يكن هناك آنذاك لدى الجمهورية السوفيتية الفتية وسائل كافية لبناء مصانع وفابريقات جديدة فى المناطق المتخلفة إقتصاديا . ففككت عشرات من المصانع الضخمة فى المناطق الصناعية بوسط روسيا ونقلت إلى مناطق الأطراف التى كانت مستعمرة سابقا وفى السنوات الأولى لبناء الاشتراكية تشكلت ميزانيات كثير من الجمهوريات القومية فى الجانب الأكبر منها من الأموال الواردة عن طريق الحكومة الاتحادية من المناطق المتطورة صناعياً بالبلاد . وفى فترة التصنيع السريع وخاصة فى المناطق التى كانت متخلفة زاد سيل الأموال من الميزانية الاتحادية العامة إلى الجمهوريات القومية . فعلى سبيل المثال مثلت الأموال الاتحادية العامة فى عام (١٩٣٢) ٦٢ ٪ من استثمارات الاقتصاد الوطنى لآسيا الوسطى .

لقد أشار ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى إلى أن « هذه المساعدة ، والاستعداد لبذل الجهود الكبيرة ، بل — ولنقل بصراحة — التضحيات فى سبيل القضاء على تخلف الأطراف القومية وفى سبيل تطويرها السريع ، جاء فى وصية لينين لبروليتاريا روسيا كواجب أممى سام . ولقد قامت الطبقة العاملة الروسية والشعب الروسى بهذا الواجب حق قيام . وكانت تلك فى حقيقة الامر مأثرة مجيدة لطبقة بكاملها ، لشعب بكامله ، فى سبيل الأممية » .

ولقد أدت السياسة اللينينية للقضاء على التخلف الاقتصادى والثقافى فى الأطراف القومية إلى أن تكونت هنا فى مدد قصيرة للغاية الممهدات المادية والاجتماعية والسياسيه للبناء الشامل للاشتراكية . وبفضل ذلك قام فى المناطق القومية من الاتحاد السوفييتى التى كانت متخلفة من قبل، مجتمع اشتراكى فى نفس الوقت الذى نشأ فيه فى المناطق الأكثر تقدما بالبلاد وكان ذلك قبل نهاية الثلاثينيات .

وتحدثنا البيانات التالية عن أبعاد التحولات . ففى أعوام ١٩٢٨ — ١٩٤٠ وحدها أنشىء فى أزبكستان ٥٠٠ مؤسسة صناعية ضخمة ، وحوالى ٤٠٠ مؤسسة فى قيرغيزيا و ٢٠٠ فى تركمانيا . وحتى نهاية عام ١٩٣٩ كان يعمل فعلا فى طاجيكستان ٢٤٨ مصنعا وفابريقة على حين كان عددها فى عام ١٩١٣ السابق لبداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ٦ مؤسسات فقط . وعلى سبيل المثال زادت منتجات الصناعات الثقيلة فى فترة التصنيع المتسارع بازبكستان (١٩٢٨ — ١٩٤٠) ٣٣ مثلا وزاد إنتاج الطاقة الكهربائية ١٤ مرة ومنتجات بناء الآلات وقطع المعادن ٣٢ مرة .

ونتيجة لذلك خطت أزبكستان فى العقدين الأولين لقيام السلطة السوفييتية خطى أوسع من كافة المستعمرات وأشباه المستعمرات المجاورة والتى كانت من نفس مستوى أزبكستان عند بدء حركتها

نحو الاشتراكية . ومن الجدير بالذكر أن تركيا ومصر اللتان كانتا تسبقان أزبكستان كثيراً من حيث مستوى التطور الاقتصادى فى عام ١٩٢٨ لم تستطيعا الوصول إلى المستوى الذى حققته أزبكستان فى عام ١٩٤٠ من حيث المؤشرات الرئيسية سوى فى نهاية الخمسينيات .

لم تكن زراعة جمهوريات آسيا الوسطى تعرف المحراث الحديدى إلى ما قبل الثورة ، ومع حلول النصف الثانى من الثلاثينيات أصبح بها إنتاج ضخم على أساس عال من التكنيك . ومنذ عام ١٩٤٠ تحتل آسيا الوسطى المكانة الأولى فى العالم من حيث محصولية المحصول الزراعى الرئيسى ألا وهو القطن .

إن إجراء الثورة الثقافية فى المناطق التى كانت متخلفة جعلها فعليا مناطق التعلم الشامل . وفى عام ١٩٢٠ أنشىء أول معهد عال فى آسيا الوسطى . وفى عام ١٩٤٠ على سبيل المثال كان فى الجمهورية الأوزبيكية ٢٨ طالبا بين كل ١٠ آلاف نسمة (على حين كان هناك ٦ طلاب فى تركيا و ٤ فقط فى الهند بين كل عشرة آلاف نسمة من السكان) .

وهكذا فإن الأطراف التى كانت متخلفة فى روسيا والتى وقفت بعد ثورة أكتوبر على طريق التقدم الاجتماعى المتسارع ، قد وصلت فيما يقل عن ٢٥ عاما من علاقات ما قبل الرأسمالية إلى الاشتراكية متخطية المرحلة الرأسمالية من التطور .

أفاق اشتراكية

كان لينين مقتنعاً بعمق بأن شعوب الأطراف المتخلفة فى روسيا والتى دخلت مع الشعوب السوفييتية الأكثر تطورا فى قـوام الدولة الاشتراكية الموحدة لا تنفرد بإمكانية تجاوز المرحلة الرأسمالية للتطور والانتقال إلى الاشتراكية . فمن رأيه أن البلدان الأخرى التى تسودها العلاقات الاجتماعية قبل الرأسمالية يمكنها أيضا السير على نفس طريق التطور . فقد ابرز أنه بمساعدة الطبقة العاملة العالمية وتحت تأثير مثال الدول التى انتصرت فيها الثورة الاشتراكية ، « يمكن أن نوقظ فى الجماهير النزوع إلى النشاط السياسى المستقل حتى فى البلدان التى تكاد تنعدم فيها البروليتاريا » .

ففى السنوات الأولى بعد انتصار ثورة أكتوبر أولى لينين فائق عنايته لمسألة مكان ودور حركة التحرر الوطنى فى عملية الثورة العالمية وآفاقها الاشتراكية . ويعود الأمر إلى أن جانبا معينا من الأحزاب الشيوعية الفتية ، خاصة فى البلدان الرأسمالية المتطورة التى لم تكن قد تغلبت بعد على مرض « اليسارية » الطفولى والطائفية ، لم تقدر قوة وإمكانية حركة التحرر الوطنى النامية فى المستعمرات حق قدرها مصنفة إياها كحركة برجوازية بحتة . ولم تفهم أنه فى عصر الأزمة

العامة للرأسمالية وتثبيت الاشتراكية فإن حركة التحرر الوطنى ، حتى فى تلك البلدان التى كانت فيها البروليتاريا ضعيفة أو تكاد تكون غير موجودة ، هى الحليف الطبقى للطبقة العاملة العالمية ووليدها — أول دولة اشتراكية — وأن النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر الوطنى سينمو هنا لامحالة ويتحول إلى نضال من أجل التحرر الاجتماعى وضد الرأسمالية .

وجرى نقاش حاد بشكل خاص فى هذا الصدد فى المؤتمر الثانى للأممية الشيوعية عام ١٩٢٠ . وليس مصادفة أن أعد لينين نفسه للمؤتمر موضوعات حول المسألة القومية ومسألة المستعمرات واشترك بنشاط فى أعمال لجان المؤتمر الخاصة بهاتين المسألتين وألقى تقريراً عن نتائج أعمال اللجنة استغرق جلسة كاملة .

ونتيجة لذلك تم التغلب على خطر التقييم الخاطىء لدور حركة التحرر الوطنى . وشاركت الغالبية العظمى من مندوبى المؤتمر لينين وجهة نظره . وأدخل الإدراك الماركسى اللينينى للوحدة العضوية للقوى الثورية العظمى الثلاث فى العصر الحديث ، ألا وهى الاشتراكية العالمية وبروليتاريا البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى ، وتحديد الآفاق الاشتراكية الختامية لنضال الشعوب التى تضطهدها الإمبريالية فى القرارات المنهجية لسائر الحركه الشيوعيه الدوليه .

وبتعميم النجاحات الأولى فى القضاء على التخلف الاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الأطراف السابقة لروسيا أعلن لينين بثقة فى تقريره أمام المؤتمر أنه غير صحيح منذ الآن « التأكيد بأن مرحلة التطور الرأسمالى هى مرحلة محتومة بالنسبة للأقوام المتأخرة ... إنما يتوجب على الأممية الشيوعية أن تقر وأن تثبت نظرياً أنه بمساعدة البروليتاريا فى البلدان المتقدمة يمكن للبلدان المتأخرة أن تنتقل ... إلى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، متجنبة مرحلة التطور الرأسمالى » .

وفى حياة لينين ، أخذ ثوار منغوليا المجاورة للاتحاد السوفييتى بعد انتصار الثورة الشعبية هناك فى عام ١٩٢١ ، فى تحويل هذا البلد المتخلف الذى كان يعيش فيه الفلاحون الرحل فى ظروف النظام الإقطاعى إلى طريق التطور اللارأسمالى . وفى عام ١٩٢٤ أعلن المؤتمر الثالث للحزب الشعبى الثورى المنغولى رسمياً نهج انتقال البلاد إلى الاشتراكية مع تجنب المرحلة الرأسمالية للتطور . وتأكد بصورة ساطعة فى تجربة جمهورية منغوليا الشعبية ـ أول دولة مستقلة إنتقلت إلى الاشتراكية عبر المرحلة اللارأسماليه من التطور ـ تنبؤ لينين بأن أفكار الاشتراكية يمكن تحقيقها تماما ليس فقط فى البلدان التى تعتبر فيها البروليتاريا الدعامة الاجتماعية وإنما أيضا فى الدول التى تقوم على الفلاحين الذين ما زالوا يعيشون فى ظروف نظام ما قبل الرأسمالية . وكان يعتبر أن

الشرط الضرورى لذلك هو إقامة تحالف دولى وثيق بين الدولة البروليتارية وفلاحى البلدان المتخلفة .

ولقد أكد لينين أكثر من مرة أنه كلما تحولت الاشتراكية من قوة وطنية — كما كانت بعد انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا — إلى قوة عالمية أممية — ستصبح عليها بقدر انفصال بلدان جديدة وجديدة على طريق الاشتراكية عن النظام الرأسمالى — كلما اتسعت بما لا يقاس الإطارات الجغرافية لنفس إمكانية إنتقال البلدان المتخلفة إلى طريق التطور اللارأسمالى عندما يستطيع أى بلد فى أى نقطة من الكرة الأرضية إختيار طريق الوجهة الاشتراكية .

ولقد بين العصر الحديث صواب لينين تماما . وفى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية أخذ النضال فى سبيل التحرر الوطنى يتحول أكثر فأكثر فى كثير من البلدان إلى النضال ضد علاقات الاستغلال الإقطاعية منها والرأسمالية على حد سواء . وازدادت هذه العملية نشاطافىالسنوات الأخيرة ، حيث أن التجربة التاريخية لجملة من البلدان المتحررة بينت بصورة مقنعة أن الرأسمالية لا تحل قضايا البعث الوطنى والقومى للمستعمرات وشبه المستعمرات السابقة بوصفها مأزقا تاريخيا من ناحية التقدم الاجتماعى .

وفى الوقت الراهن توجد فى آسيا وأفريقيا مجموعة كبيرة من

الدول التي اتخذت وجهة بناء مجتمع اشتراكي . ويوجد في هذه البلدان الآن أكثر من ١٥٠ مليون نسمة من السكان وتمثل مساحتها ما يزيد عن ١٠ ملايين كيلو متر مربع . ويمكن القول عن حق أنه تكونت في العالم منطقة واسعة من البلدان ذات الاتجاه الاشتراكي .

والآن ، في ظروف الانفراج الدولي تنشأ إمكانيات جديدة مناسبة لتقوية تحالف الاشتراكية العالمية مع الفصيلة الطليعية لحركة التحرر الوطني ، ألا وهي الدول الفتية ذات الوجهة الاشتراكية السائرة على طريق التطور اللارأسمالي . ويفتح الوضع العالمي الراهن آفاقا أوسع للاسراع من حركة تلك الدول إلى القضاء التام على التخلف الاقتصادي والثقافي ، إلى الاشتراكية .

ويقينا أن اختيار وجهة التطور اللاحق للبلدان المتحررة يتحدد في اصطدامات طبقية حادة مع قوى الرجعية المحلية التي تسعى بنشاط وراء التطور على الطريق الرأسمالي . وتلقى القوى الرجعية تأييداً سياسياً واقتصادياً وفكرياً وعسكرياً في حالات غير نادرة وفعالا من جانب الإمبريالية التي تحاول أن تدفع عجلة التاريخ إلى الوراء . كما لا يجوز إهمال التأثير الضار للتحريفية التي يتكتل أنصارها مع قوى الإمبرياليه والرجعيه في البلدان الناميه الفتيه في آسيا وأفريقيا . وتستغل الإمبرياليه العالميه الصعوبات الجديدة المرتبطه بالتخلف الاقتصادي والاجتماعي العميق للبلدان المستقلة في هاتين القارتين ، وتغلب العناصر البرجوازيه

الصغيرة فى بنيتها الاجتماعيه ، وعدم تجانس القوى المتمسكة بالسلطه فى الدول ذات الوجهه الاشتراكيه ، فتقوم بمحاولات عنيدة لتحويلها إلى الطريق الرأسمالى ، الأمر الذى لن يتسنى لها القيام به أحيانا .

ولقد دخلت فكرة طريق التطور اللارأسمالى بثبات فى وعى ممثلى الأحزاب والحركات الديموقراطيه الثوريه التقدميه فى الدول المتحررة ، والتى تعكس مصالح الفلاحين، والبرجوازيه الصغيرة فى المدن، وجماهير العمال فى بلدان عديدة .

وضعت بعض الأحزاب الديموقراطيه الثوريه فى بلدان الوجهة الاشتراكيه فى أساس وثائقها البرنامجيه نظريه الاشتراكية العلميه والتعاليم الماركسيه اللينينيه بصدد قوانين التطور اللارأسمالى . ولا يزال ينمو الاهتمام بأفكار الماركسيه اللينينيه بصدد طرق انتقال البلدان المتخلفه إقتصاديا إلى الاشتراكيه فى الدول الفتيه الأخرى فى آسيا وأفريقيا . ويتزايد إدراك ممثلى الرأى العام فى هذه البلدان لبطلان مختلف النظريات الزائفه حول « الطريق الثالث » و « الأمم الغنيه والفقيرة » والتناقض بين « الشمال والجنوب » والتى يروج لها بعناد دعاة الإمبرياليه وعملاؤهم محاولين مواجهتها للنظريه الماركسيه اللينينيه بصدد طريق التطور اللارأسمالى نحو الاشتراكيه .

ولذا فما لا شك فيه أن التعرف بمواد هذا الكتاب الذى جمعت

فيه الأقوال الرئيسيه لماركس وانجلس ولينين بصدد طريق التطور اللارأسمالى يمثل أهميه كبيرة للقراء الذين يودون التعرف بعمق على أفكارهم حول هذه المشكله الحيوية . وتنشر الأعمال فى هذا الكتاب وفقاً لتسلسل زمنى يسمح بجلاء أكثر بتتبع التطوير الخلاق للنظريه الماركسيه اللينينيه بصدد طريق التطور اللارأسمالى .

وفى ختام هذه المجموعه ترد مقتطفات من وثائق الحركة الشيوعيه العالميه ، تعطى فكرة عن تطوير وتدقيق الشيوعيين الخلاق اليوم للأفكار الأساسيه لمبدعى الماركسيه اللينينيه بصدد التخلف الاقتصادى فى أقصر فترة تاريخيه فى الحركه نحو الاشتراكيه دون المرور بالمرحلة الرأسماليه من التطور .

فريدريك انجلس
من المؤلف (حول العلاقات الاجتماعية في روسيا)

من الواضح أن حالة الفلاحين الروس أصبحت لا تطاق منذ التحرر من نير القنانة (عام ١٨٦١ . الناشر .) وأن هذا لا يمكن أن يستمر طويلا وأن الثورة في روسيا وشيكة لهذا السبب ذاته . ولكن القضية تنحصر في ماهية النتيجة المحتملة لهـــذه الثورة . فالسيد تكاتشوف* يقول أنها ستكون ثورة اجتماعية . وهذا تكرار بين . فكل ثورة حقيقية هي ثورة اجتماعية حيث أنها تقود إلى السيطرة طبقة جديدة وتتيح لها فرصة تغيير المجتمع على نمطها وشاكلتها . إلا أن السيد تكاتشوف يريد أن يقول ان الثورة ستكون اشتراكية وأنها ستطبق في روسيا — قبل أن نصل نحن إلى ذلك في الغرب — هذا الشكل الذي تتطلع إليه اشتراكية غرب أوروبا ، — هكذا في مجتمع لانزال

---

* يجادل انجلس بيوتر تكاتشوف (١٨٤٤ — ١٨٨٥) أحد مفكري البرجوازيه الصغيرة والفلاحين الروس ، الذى لخص خطته الطوبويه حول الثورة الاشتراكيه في روسيا في كتيب « مهام الدعايه الثورية في روسيا » وصدر في لندن عام ١٨٧٤ . الناشر .

تقابل فيه كلا من البروليتاريا والبرجوازيه الموجودتين فى أحط مدارك التطور ، إلا فى بعض الأماكن فقط ! ويزعم أن هذا ممكن لأن الروس شعب الاشتراكيه المختار لوتحهم . . . بالملكيه المشاعيه للأرض ! . .

ولنستمع إلى هذا الأخير . (المقصود هنا تكاتشوف . الناشر .) . . .

« إن شعبنا . . . فى غالبيته العظمى . . . متأثر بمبادىء الحيازة المشاعيه ، وهو إذا جاز القول شيوعى بالفريزة والتقاليد . وتداخلت فكرة الملكيه الجماعيه بشكل قوى جدا مع كافه تأملات الشعب الروسى فى الحياة » .

(وسنرى فيما بعد كيف أن عالم الفلاح الروسى فسيح للغايه) ، « وإذا كانت الحكومه قد بدأت تفهم الآن أن هذه الفكرة لا يجمعها جامع مع مبادىء المجتمع « الحسن التنظيم » وتريد باسم هذه المبادىء أن تدخل فكرة الملكيه الخاصه فى وعى الشعب وحياته ، فلن تتمكن من التوصل إلى ذلك إلا بالحراب والسياط . ويتضح من ذلك أن شعبنا بالرغم من جهله يقف أقرب إلى الاشتراكيه من شعوب أوروبا الغربيه وإن كانت هذه الأخيرة أكثر منه تعلما » .

وفى الواقع فإن الملكيه المشاعيه للأرض تمثل تنظيما نجده فى درجة

سفلى من التطور فى كافة الشعوب الهند وأوروبية من الهند حتى إيرلندا بل وحتى لدى شعب الملايو النامى تحت التأثير الهندى فى جاوه على سبيل المثال . وحتى فى عام ١٦٠٨ فإن وجود الملكية المشاعية للأرض المعترف بها من الجميع فى شمال ايرلندا الذى كان قد فتح لتوه ، كان ذريعة للإنجليز لإعلان أن الأرض دون صاحب ومصادرتها بناء على ذلك لصالح التاج . ولا يزال فى الهند حتى الآن العديد من أشكال الملكية المشاعية . وكانت هذه الملكية ظاهرة عامة فى ألمانيا وتعتبر الأراضى المشاعيه التى نجدها فى بعض الأماكن حتى وقتنا هذا من بقاياها كثيراً ما نجد آثارها الواضحة فى الجبال خصوصا : إعادة تقسيم الأرض المشاعيه دوريا وما إلى ذلك ... وفى أوروبا الغربيه بما فى ذلك بولندا وروسيا الصغيرة* فإن هذه الملكيه المشاعيه قد تحولت ، عند درجه معلومه من التطور الاجتماعى، إلى قيود وكوابح للانتاج الزراعى وتحيت شيئاً فشيئاً . ونجد العكس من ذلك فى روسيا الكبرى (أى روسيا بالذات) ، حيث ظلت هذه الملكيه حتى الآن مبرهنه بذلك أن الإنتاج الزراعى والعلاقات الاجتماعيه الريفيه المتعلقه به لا تزال توجد هنا فى حالة متخلفه جداً كما هو الحال فى واقع الأمر . فالفلاح الروسى

---

* كانت تلك تسميه أوكرانيا ـــ الجزء الجنوبى الغربى لروسيا فى ذلك الوقت الناشر .

يعيش ويعمل فى مشاعته فقط ، وليس هناك وجود لبقيه العالم إلا بقدر تدخله فى أمور مشاعته . وهذا سليم لدرجه أن كلمه « مير » باللغــــه الروسيه تعنى « المعمورة » من ناحيه وتعنى « المشاعه الفلاحيه » من ناحيه أخرى وكلمه (Vas mir) (ومعناها كل العالم باللغه الروسيه) تعنى بلغه الفلاح اجتماع أعضاء المشاعه . وعلى ذلك فإذا كان السيد تـكاتشوف يتحدث عن « نظرة » الفلاح الروسى إلى العالم فإنه أخطأ بشكل واضح فى ترجمة كلمه « مير » الروسيه . فإن مثل هذا الانعزال التام لبعض المشاعات عن البعض الآخر الذى يخلق مصالح غير عامه إطلاقا وإن كانت متساويه فى سائر البلاد يمثل قاعدة طبيعيه للاستبداد الشرقى ، وأينما تغلب هذا الشكل الاجتماعى — من الهند حتى روسيا فإنه كان يولد هذا الاستبداد دائما ويجد فيه دائما تتمه له . وليست الدولة الروسيه وحدها عموما بل وحتى شكلها المميز الخاص، الاستبداد القيصرى ، معلقين فى الهواء ، ولـكنهما نتاج ضرورى ومنطقى للظروف الاجتماعيه الروسيه التى لا يجمعه معها جامع كما يقول السيد تـكاتشوف!

— وكان بإمكان التطور المطرد لروسيا فى الاتجاه البرجوازى أن يقضى شيئاً فشيئاً على الملكيه المشاعيه هنا أيضا دون أى تدخل من جانب « حراب وسياط » الحكومه الروسيه . خصوصا وأن الفلاحين فى روسيا لا يزرعون الأرض الجماعيه بصورة جماعيه ... بل بالعكس ، تتم فى روسيا إعادة توزيع الأرض بين رؤساء الأسر المنفردين وكل

وكل واحد منهم يزرع قطعته من أجل نفسه . وهذا يخلق إمكانيه نشأة عدم مساواة كبير جداً فى رخاء بعض أعضاء المشاعه ، وعدم المساواة هذا موجود فعلا . فيوجد بين أعضاء المشاعات فى كل مكان تقريبا عدد من الفلاحين الأغنياء ، من أصحاب الملايين فى بعض الأحيان ، يمارسون الربا ويضنون جماهير الفلاحين ...

ويتضح من كل ذلك أن الملكيه الشاعيه فى روسيا قد عاشت فترة ريعانها منذ زمن بعيد ويبدو أنها ماضيه إلى الانحلال ، ومع ذلك لا جدال فى وجود إمكانيه نقل هذا الشكل الاجتماعى إلى شكل أعلى بشرط أن يظل قائما حتى تنضج الظروف لذلك ، وإذا ما اتضح أنه قادر على التطور بمعنى أن يصبح الفلاحون لا يزرعون الأرض فرادى بل سويا ، على حين أن هذا الانتقال إلى الشكل الأعلى يجب أن يتحقق دون أن يمر الفلاحون الروس بمرحلة انتقاليه للملكيه الأرض المفتته البرجوازيه . ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا فى حالة قيام ثورة بروليتاريه ظافرة فى أوروبا الغربيه — قبل الإنهيار النهائى لهذه الملكيه المشاعيه ، تلك الثورة التى توفر للفلاح الروسى الظروف الملائمه لمثل هذا الإنتقال ، وخاصه الوسائل الماديه التى سيحتاج إليها لإجراء الإنقلاب المرتبط بذلك بصورة لا مناص منها فى كل نظام زراعته . وعلى هذا فإن السيد تكاتشوف يقول هراء فى هراء بتأكيده أن الفلاحين الروس يقفون على الرغم من كونهم « ملاكا » ، أقرب إلى

الاشتراكيه ، من العمال عديمي الملكيه في أوروبا الغربيه . والأمر على عكس ذلك تماما . فإذا كان هناك شيء يمكنه أن ينقذ الملكيه المشاعية الروسيه ويتيح لها فرصه التحول إلى شكل جديد قادر على الحياة حقا فإن ذلك هو الثورة البروليتاريه في أوروبا الغربيه بالذات .

كتب في نيسان (أبريل) ١٨٧٥ ماركس ، انجلس .

المؤلفات . الطبعه الروسيه الثانيه ، المجلد ١٨ ،

ص ٥٤٠ ، ٥٤٣ — ٥٤٥ ،

٥٤٥ — ٥٤٦

كارل ماركس

من رسالة الى هيئة تحرير (أوتيتشستفيني زابيسكى

يبدو أن كاتب مقالة « كارل ماركس أمام محكمة السيد جوكوفسكى » * إنسان ذكى ، ولو أنه وجد فى تلخيص « للتراكم البدائى » ولو مكان واحد يؤيد استنتاجاته لاورده . وحيث أنه ليس هناك مثل هذا المكان ، فقد اضطر إلى التشبث بتفصيل ثانوى ، بملاحظة جدلية ضد أحد « الروائيين » مطبوعة فى إضافة للطبعة الألمانية الأولى من « رأس المال » ** ... وقد يكون تقييمى لهذا الكاتب صائباً ، وقد يكون مخطئاً ، ولكنه لا يمكن أن يكون بحال مفتاحاً لموقفى من الجهود التى يبذلها

---

* كتب ماركس رسالته إلى هيئة تحرير « أوتيشستفيني زابيسكى » التى كانت تصدر فى روسيا ، فور ظهور مقالة النظرى البرجوازى الصغير الروسى نيقولاى ميخايلوفسكى « كارل ماركس أمام محكمة السيد جوكوفسكى » فى المجلة المذكورة فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٧ . وحوت المقالة تفسيرا خاطئا « لرأس المال » يزعم أن كارل ماركس ينادى بضرورة مرور كافة الشعوب بالمرحلة الرأسمالية من التطور . الناشر .

** يقصد كارل ماركس ملاحظاته الناقدة لبعض الآراء الخاطئة التى قيلت فى حينه على لسان الكسندر غرتسين الديموقراطى الثورى الروسى العظيم فى منتصف القرن التاسع عشر (١٨١٢ - ١٨٧٠) . الناشر .

« المواطنون الروس لإيجاد طريق لتطور وطنهم يختلف عن ذلك الطريق الذى سارت وما زالت تسير عليه أوروبا الغربية »* وما إلى ذلك .

وأنا أتحدث فى تذييل الطبعة الألمانية الثانية « لرأس المال » عن « العالم والناقد الروسى العظيم »** بالاحترام البالغ الذى يستحقه . ولقد بحث هذا العالم فى مقالاته الرائعة مسألة ما إذا كان على روسيا - كما يريد اقتصاديوها الليبراليون - أن تبدأ بتقويض المشاعة الريفية لكى تنتقل إلى النظام الرأسمالى أو أنها تستطيع على العكس من ذلك الاستفادة من كل ثمار هذا النظام دون معاناة آلامه وذلك بتطوير مقوماتها التاريخية الخاصة . وهو يؤيد فكرة الحل الأخير .

وحيث أنى لا أحب أن أترك « مكاناً للتخمين » فإننى أقول دون مواربة أنه حتى يمكننى أن أحكم على التطور الاقتصادى لروسيا من منطلق الملم بالموضوع ، فقد درست اللغة الروسية ثم عكفت سنين طويلة على دراسة المطبوعات الرسمية وغيرها من المطبوعات المتصلة بهـــذا

---

* يورد كارل ماركس هنـــا مقتطفات من مقالة « أوتيشسيفيني زابيسكى » . الناشر .

** يدور الكلام هنا عن نيقولاى تشيرنيشيفسكى (١٨٢٨ - ١٨٨٩) الديموقراطى الثورى الروسى العظيم فى القرن التاسع عشر ، وأحد رواد مفكرى ماقبل عصر الماركسية وأيديولوجى ثورة الفلاحين فى روسيا . الناشر .

الأمر . ولقد توصلت إلى استنتاج أنه إذا كانت روسيا ستواصل السير على نفس الطريق الذى سارت عليه منذ عام ١٨٦١ فإنها تفوت أفضل فرصة منحها التاريخ على مداه لشعب من الشعوب وستعانى من كافة المصائب الحتمية للنظام الرأسمالى .

إن الباب الخاص بالتراكم البدائى يقيم الدعوى فقط لكى يصور ذلك الطريق الذى خرج عليه النظام الاقتصادى الرأسمالى فى أوروبا الغربية من نواة النظام الاقتصادى الإقطاعى . وعلى ذلك فإنه يصور العملية التاريخية التى تفصل بين المنتجين ووسائل إنتاجهم فتحول الأولين إلى عمال إجراء (بروليتاريين بالمفهوم الحديث للكلمة) وتحول ملاك وسائل الإنتاج إلى رأسماليين . . .

وإذا كان لدى روسيا اتجاه أن تصبح أمة رأسمالية على غرار أمم أوروبا الغربية ـ ولقد عملت الكثير فى هذا الاتجاه فى السنوات الأخيرة ـ فإنها لن تبلغ ذلك قبل أن تحول جانبا كبيرا من فلاحيها إلى بروليتاريين، وبعد ذلك ، وبعد أن تجد نفسها فى أحضان النظام الرأسمالى ، ستكون خاضعة لقوانينه التى لا ترحم مثلها فى ذلك مثل سائر الشعوب الوثنية * . وهذا كل ما فى الأمر . ولكن ناقدى لا يشبعه هذا . فهو

---

* يقصد ماركس الشعوب التى لم تصل بعد إلى الرأسمالية ، لذا فهى وثنية من وجهة النظر الرأسمالية . المعرب .

يريد أن يحول فوراً مقالى التاريخى عن ظهور الرأسمالية فى أوروبا الغربية إلى نظرية تاريخية فلسفية عن طريق عام يتحتم على الشعوب كافة أن تسير عليه مهما كانت الظروف التاريخيـة التى وجدت فيها ، لكى تصل فى آخر المطاف إلى هذه التشكيلة الاقتصادية التى توفر ، إلى جانب الازدهار العظيم للقوى المنتجة للعمل الاجتماعى ، توفر أيضا تطورا أكثر كمالا للإنسان . ولـكن أستميحه عفوا . فإن ذلك لو حدث لـكان إطراء بينا وخجلا لى إلى حد بعيد . ولنضرب مثلا على ذلك .

لقد تحدثت فى أماكن مختلفة من « رأس المال » عن المصير الذى لحق بدهماء روما القديمة . وقد كان هؤلاء فى بادىء الأمر فلاحين أحرارا يعمل كل منهم بنفسه فى قطعة أرضه الصغيرة الخاصة ونزعت ملكيتهم فى مجرى التاريخ الرومانى . ونفس تلك الحركة التى انتزعت منهم وسائل الإنتاج والعيش الخاصة بهم قد جذبت وراءها ليس مجرد تكوين ملكيات كبيرة من الأراضى وإنما تكوين رؤوس أموال نقدية ضخمة أيضا . وهكذا فى يوم من الأيام ظهر اناس أحرار محرومون من كل شىء سوى قدرتهم على العمل فى جانب ، وفى الجانب الآخر ظهر ملاك الثروات المقتناة — لاستغلال عملهم . فما الذى حدث ؟ لم يصبح البروليتاريون الرومانيون عمالا إجراء وإنما دهماء خاملين أكثر حقارة

---

* يقصد كارل ماركس التشكيلة الشيوعيه . الناشر .

من (poor whites) (الفقراء البيض . الناشر .) القريبى العهد فى الجزء الجنوبى للولايات المتحدة الأمريكيه . وفى نفس الوقت لم يكن يتطور أسلوب الإنتاج الرأسمالى وإنما أسلوب الرق . وبناء عليه فإن فإن الأحداث المتماثلة بشكل يدعو للعجب والتى حدثت فى وضع تاريخى مختلف قد أدت إلى نتائج مختلفه تماما . وبدراسة كل من هذه التطورات على حدة ثم مقارنتها ببعضها البعض ، يسهل إيجاد مفتاح لإدراك هذه الظاهرة . ولكن لا يمكن بحال التوصل إلى هذا الإدراك باستخدام مفتاح شامل الأغراض على شكل أى من النظريات التاريخيه الفلسفيه العامه التى يتمثل أعلى فضائلها فى وجودها فوق التاريخ .

كتبت فى نوفمبر عام ١٨٧٧ تقريبا .

ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١٩ ، ص ١١٢ - ١١٩ ، ١٢٠ - ١٢١ .

كارل ماركس

من مسودة الرد على رسالة فيرا زاسوليتش*

إذا ما نحينا جانبا كل المصائب التى تحيق بـ « المشاعه الريفيه » الروسيه فى الوقت الحاضر ، وإذا لم نضع فى اعتبارنا سوى شكل بنائها وبيئتها التاريخيه اترتب علينا أن نعترف أنه بديهى من النظرة الأولى أن إحدى سماتها المميزة ـ ألا وهى الملكيه المشتركة الأرض ـ تشكل أساسا طبيعيا للإنتاج الجماعى والحيازة الجماعيه . وإلى جانب ذلك فإنه من شأن تعود الفلاح الروسى بالعلاقات التعاونيه أن يسهل انتقاله من

---

* كتب ماركس رسالة إلى فيرا زاسوليتش (١٨٥١ - ١٩١٩) ، المناضلة النشطة ضد الحكم الاستبدادى المطلق ، ردا على رسالتها المؤرخه فى ١٦ شباط (فبراير) ١٨٨١ .

وتوجهت زاسوليتش باسم رفاقها الذين انضموا فى وقت لاحق (عام ١٨٨٣) إلى أول جماعه ماركسيه روسيه « تحرير العمل » ، إلى ماركس برجاء الإعراب عن وجهه نظره حول آفاق التطور التاريخى لروسيا وخاصه حول مصائر المشاعه الفلاحيه الروسيه .

وأثناء اعداد الرد على رسالة زاسوليتش وضع ماركس أربعة مسودات تمثل جميعها دراسه غنيـــه شاملة بشكل غير عادى من حيث المضمون للشاعه الفلاحيه وعن للشكل الجماعى للإنتاج الزراعى (الناشر)

الاستثمارات المفتته إلى الزراعه الجماعيه التى يقوم بها فعلا بقدر معلوم فى المروج التى لا يتم تقسيمها ، مع أعمال الصرف والتدابير الأخرى التى تمثل الصالح العام .

ولكن لكى يتمكن العمل الجماعى من أن يحل فى الزراعه نفسها محل العمل فى قطع الأرض المفتته وهو أصل الحيازة الخاصه ، يلزم الأمر شيئين : الحاجه الاقتصادية إلى مثل هذا التغيير والظروف الماديه اللازمه لتحقيقه .

وفيما يتعلق بالحاجه الاقتصادية فإنها ستدع « المشاعه الريفيه » نفسها تشعر بها بمجرد أن توضع الأخيرة فى الظروف الطبيعيه أى بمجرد أن يرفع عنها العبء الذى يقع على عاتقها و بمجرد أن تحصل على الكميه الطبيعيه من الأراضى لفلاحتها . لقد انقضى ذلك الوقت الذى لم تكن فيه الزراعه الروسيه تحتاج لشيء سوى الأرض وفلاحى قطعها المفتته المزودين بالأدوات البدائيه بشكل أو بآخر . لقد انقضى هذا الوقت بسرعه أكبر لأن ظلم الفلاح ينهك حقله و يجعل هذا الحقل غير خصب . ويلزمه الآن عمل تعاونى منظم على نطاق واسع . زد على ذلك أنه هل من المعقول أن الفلاح الذى لا تكفيه أشد الأشياء ضرورة لفلاحة قطعته التى تتراوح مساحتها من الديسياتينتين أو الثلاثة (الديسياتينا : وحدة مساحه فى روسيا ما قبل الثورة تقارب الهكتار . الناشر) سيكون فى وضع أفضل إذا تضاعفت مساحة أرضه .

فمن أين سيجد الأدوات والسماد وطرق الهندسه الزراعيه وما شابه ذلك من الوسائل اللازمه للعمل الجماعى ؟ وهنا بالذات يتضح التفوق الهائل «للمشاعه الريفيه» الروسيه على المشاعات العتيقه من نفس الطراز. فهى الوحيدة التى بقيت فى أوروبا على نطاق دولة واسع . وهى لا تزال موجودة نظراً لذلك فى الوسط التاريخى الذى يقدم فيه الإنتاج الرأسمالى القائم فى آن واحد معها كافة ظروف العمل الجماعى لها . ولدى المشاعه الريفيه الروسيه فرصة استخدام كافه انجازات النظام الرأسمالى الإيجابيه دون المرور عبر شعب كاوديا*.

وأحسن دليل على أن مثل هذا التطوير « للمشاعه الريفيه » يطابق اتجاه العمليه التاريخيه لعصرنا ، هو الأزمه المحتمة التى تحيق بالإنتاج الرأسمالى فى البلدان الأوروبيه والأميركيه التى تطورت فيها بشكل أكبر، تلك الأزمه التى سيقضى عليها بالقضاء على الرأسماليه وعودة المجتمع

---

* أنزل السمنيون الهزيمه بحشود الروم وأجبروهم على المرور بين صفين من جنودهم من حملة الحراب ، الأمر الذى اعتبر أكبر عار للجيش المهزوم وذلك فى الشعب الواقعه قرب مدينة كاوديا الرومانيه القديمة عام ٣٢١ قبل الميلاد ابان حرب السمنيين الثانية . ومن هنا جاءت عبارة « المرود عبر شعب كاوديا » التى تعنى التعرض لأقصى إهانة . الناشر .

الحديث إلى شكل أعلى من طراز م ـغل فى القدم أى إلى الإنتاج الجماعى والحيازة الجماعيه .

كتب فى النصف الثانى من شباط (فبراير) وأوائل آذار (مارس) ١٨٨١ .

ماركس وانجلس المؤلفات ، المجلد ١٩ ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

ماركس وأنجلس

من مقدمة الطبعة الروسية الثانية لبيان الحزب الشيوعى

عند وقوع ثورة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ، كان ملوك أوروبا وكذلك برجوازيتها ، يرون فى تدخل روسيا الوسيلة الوحيـــدة للنجاة من البروليتاريا التى بدأت تستيقظ ، فكانوا يعلنون القيصر زعيم الرجعيه فى أوروبا . أما اليوم ... فأصبحت روسيا فى طليعه الحركة الثورية فى أوروبا .

كان « البيان الشيوعى » يستهدف إعلان الزوال المقبل . والمحتوم للملكية البرجوازية الحاليه . ولكن فى روسيا ، إلى جانب الحميه الرأسماليه التى تتطور بسرعه شديدة . وإلى جانب ملكية الأرض البرجوازية التى أول ما بدأت تنشأ وتتطور ، نرى أن أكثر من نصف الأرض هو ملك مشاع بين الفلاحين . فالمسألة تنحصر ، إذن ، فى أن نعرف : أبوسع الملكية المشاعيه عند الفلاحين الروس — التى هى شكل متفكك جدا من ملكيه الأرض المشاعيه البدائيه — أن تنتقل بصورة مباشرة إلى شكل أعلى ، شيوعى لتملك الأرض ، أم ينبغى أن تتبع فى بادىء الأمر طريق الانحلال الذى عاناه التطور التاريخى فى الغرب ؟

إن الجواب الوحيد الذى يمكن إعطاؤه على هذا السؤال فى الوقت

الحاضر هو : إذا أدت الثورة الروسية إلى نشوب ثورة بروليتارية فى الغرب ، وكانت الثورتان إحداهما تتم الأخرى فإن ملكية الأرض المشاعية الحالية فى روسيا يمكن أن تكون نقطة إنطلاق لتطور شيوعى .

كتب فى ٢١ كانون الثانى (يناير ١٨٨٢)

ماركس وانجلس
المؤلفات ، المجلد ١٩ ،
ص ٣٠٥

فريدريك انجلس

من رسالة الى كارل كاوتسكي*

. . وإني أرى أن المستعمرات بكل معنى الكلمة ، أي البلدان التي يشغلها الأوروبيون، كندا والكاب** وأوستراليا ستغدو جميعها مستقلة أما البلدان المستعبدة فقط والتي يقطنها سكانها الأصليون ، الهند والجزائر والممتلكات الهولندية والبرتغالية والأسبانية، فإنه يقتضي لها، بالعكس، أن تأخذها البروليتاريا في يدها لفترة من الزمن وتسير بها بأسرع ما يمكن نحو الاستقلال . من الصعب التكهن بكيفية تطور هذه الحركة .

---

* كانت هذه الرسالة بمثابة الرد على رسالة كارل كاوتسكي (١٨٥٤ — ١٩٣٨) أحد القادة البارزين في الاشتراكية الديموقراطية الألمانية والمؤرخة في ١١ آيار (مايو) ١٨٨٢ . لقد طلب كاوتسكي انجلس أن يبدي رأيه حول مسألة المستعمرات ، وبصورة رئيسية حول مصائر المستعمرات بعد انتصار البروليتاريا الأوروبية . أما كاوتسكي نفسه فقد زعم في رسالته أنه لو بقيت الهند ضمن ممتلكات بريطانيا لكان ذلك « أمراً نافعاً » بالنسبة للبروليتاريا الإنجليزيه وبالنسبه للهند على حد سواء . الناشر .

** إقليم الكاب (الرجاء الصالح) . في ذلك الوقت مستعمرة بريطانيا العظمى في جنوب أفريقيا . الناشر .

... سيترتب علينا القيام بأشياء كثيرة عندنا . أن إعادة تنظيم أوروبا وأمريكا الشمالية توفر لنا فوراً قوة هائلة ومثالا بليغاً إلى حد أن البلدان شبه المتمدنة ستسير من تلقاء نفسها وراءنا ؛ والحاجات الاقتصادية وحدها كفيلة بهذه المهمة . ولكن أية أطوار اجتماعية وسياسية يترتب على هذه البلدان إجتيازها قبل أن تبلغ أيضا التنظيم الاشتراكى ، فهـــذا ما لا نستطيع اليوم ، كما أعتقد أن نجيب عليه إلا بفرضيات لا طائل تحتها . غير أن ثمة أمراً لا يقبل الشك ، هو أن البروليتاريا الظافرة لا تستطيع أن تفرض أية سعادة على شعب أجنبي دون أن تقوض بذلك انتصارها بالذات .

كتب فى ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٨٢

ماركس وانجلس
المؤلفات ، المجلد ٣٥ ،
ص ٢٩٧ ، ٢٩٨

فريدريك انجلس

من رسالة الى نيقولاى دانييلسون*

... فى سنه ١٨٥٤ ، أو ما يقاربها ، كان وجود المشاعه ، من جهه ، وضرورة بناء صناعه كبيرة ، من جهه أخرى ، نقطتى الإنطلاق بالنسبه لروسيا . وإذا أخذت بعين الاعتبار كل وضع بلادك بجمله ، كما كان آنذاك ، فهل ترى هناك ولو أقـــل إمكانيه لتاقيح المشاعه الفلاحيه بالصناعه الكبيره ، وفضلا عن ذلك ، بشكل من شأنه ، من جهه ، أن يجعل من الممكن تطور الصناعه الكبيرة ، ومن جهه أخرى أن يرفع هذه المشاعه البدائيه إلى مستوى مؤسسه إجتماعيه تتفوق كثيرا على كل ما رآه العالم حتى الآن؟ وهذا فى وقت واصل فيه الغرب الوجود فى ظل النظام الرأسمالى ؟ يخيل لى أن هذا التطور الذى يتفوق على كل ما هو معروف فى التاريخ، من شأنه أن يتطلب ظروفا إقتصاديه وسياسيه وفكريه تختلف عن الظروف التى كانت متوفرة فى ذلك الوقت فى روسيا .

---

* نيقولاى دانييلسون (١٨٤٤ — ١٩١٨) — كاتب إقتصادى روسى . تراسل مع ماركس وانجلس خلال عدد من السنين . الناشر .

لا ريب فى أن المشاعه، وكذلك الارتيل، إلى حد معين، كانا ينطويان على بعض أجنه كان بمكنها، فى ظروف معينه، أن تتطور وتخلص روسيا من ضرورة المرور عبر عذابات النظام الرأسمالى . إنى موافق تماما على رسالة صاحبنا بصدد جوكوفسكى ولكن الشرط الضرورى الاول لهذا الغرض، رأيه ورأيى على السواء، كان دفعه من الخارج أى تغيير النظام الاقتصادى فى أوروبا الغربيه، والقضاء على النظام الرأسمالى فى تلك البلدان التى نشأ فيها للمرة الاولى .

ولو كنا تقدمنا فى حينه فى الغرب بمزيد من السرعه فى تطورنا الاقتصادى، ولو كنا أظهرنا أننا قادرون على الإطاحه بالنظام الرأسمالى منذ عشر سنوات أو منذ عشرين سنه، فلربما كان قد توفر آنذاك لروسيا الوقت لوقف ميل تطورها الخاص فى اتجاه الرأسماليه .

كتب فى ٢٤ شباط (فبراير) ١٨٩٣

ماركس وانجلس
المؤلفات، المجلد ٣٩،
ص ٣٣، ٣٤

---

* شكل من التعاونيه . المعرب .
** المقصود هنا كارل ماركس . الناشر .

فريدريك انجلس
من رسالة الى نيقولاي دانييلسون

وأستطرد فأقول أن التطور فى روسيا من الشيوعيـــة الزراعية البدائيه إلى شكل اجتماعى أرقى كان من شأنه أن يصبح ممكنا بقدر لا يزيد عنه فى أى مكان آخر لو أن هذا الشكل الأرقى كان موجوداً من قبل فى بلد آخر ولو كان بمثابة نموذج ومثال . أن هذا الشكل الأرقى ـ حيث هو ممكن تاريخيا ـــ هو عاقبة ضرورية لشكل الإنتاج الرأسمالى وللتناحر الأثيني الإجتماعى الذى يخلقه هذا الشكل ؛ ولا يمكنه أن يتطور مباشرة من المشاعة الزراعية إلا بصورة تقليد للمثال الموجود سلفا فى مكان ما . ولو كانت أوروبا الغربية فى ١٨٦٠ ـــ ١٨٧٠ ناضجة لمثل هذا التحول ، ولو كان هذا التحول تحقق آنذاك فى انجلترا وفرنسا إلخ ، لكان من شأن الروس فى هذه الحال تبيان ما كان من الممكن فعله فى مشاعتهم التى كانت لا تزال فى ذلك الوقت أرضا بكرا إلى هذا الحد أو ذاك .

كتبت فى ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٣

ماركس وانجلس
المؤلفات ، المجلد ٣٩ ص ١٢٩

فريدريك انجلس

من تذييل مقال « حول المسألة الاجتماعية فى روسيا » *

فى الوقت الذى نجد فيه أن المجتمع فى أوروبا الغربية يتحلل وتهدده تناقضات تطوره التى لا يمكن التغلب عليها بالهلاك ، نجد فى نفس الوقت حوالى نصف مجموع الأراضى المزروعة فى روسيا ما زال ملكا مشتركا فى أيدى المشاعة الفلاحية . وإذا كان حسم التناقضات فى الغرب عن طريق التنظيم الجديد للمجتمع يفترض كشرط لازم ، انتقال كافة وسائل الإنتاج وبالتالى الأرض أيضا إلى ملكية المجتمع بأسره ، فأين اذن مكان الملكية المشاعية الموجودة فعلا أو على الأصح التى لا زالت موجودة فى روسيا من تلك الملكية المشتركة التى يترتب على الغرب مجرد انشاءها ؟ أفلا تستحق أن تكون نقطة انطلاق لحركة شعبية تحول فور تخطى المرحلة الرأسمالية كلها تشكيل الشيوعية الفلاحية

---

* كتبه فريدريك انجلس وفقا لرغبة الماركسيين الروس الذين أصدروا فى عام ١٨٩٤ بجنيف كتابا بعنوان « فريدريك انجلس يتحدث عن روسيا » . ويورد انجلس فى هذا المقال استنتاجات أبحاثه مع كارل ماركس حول إمكانية تجنب الدول المتخلفة اقتصاديا المرحلة الرأسمالية من التطور فى طريقها إلى الإشتراكية .

الروسية إلى ملكية اشتراكية عامة حديثة لسائر وسائل الإنتاج، مغنية إياها بكافة المنجزات التكنيكية للعصر الرأسمالي؟ .

إن طرح المسألة في حد ذاته يبين الاتجاه الذي يجب البحث فيه عن الحل . فقد عاشت المشاعة الروسية مئات السنين ولم يظهر داخلها مطلقا أي حافز لكي تصنع من ذاتها شكلا أعلى للملكية المشتركة كما كان الأمر بالضبط بالنسبة «للمارك» الألماني والبطون الكلتية والمشاعة الهندية والمشاعات الأخرى بنظمها الشيوعية البدائية . و بمرور الوقت تحولت كل هذه المشاعات تحت تأثير الظروف المحيطة بها وكذلك التي ظهرت داخلها والتي شملت تدريجيا انتاجها السلعي والتبادل بين عائلات منفردة وأشخاص على حدة فأخذت تفقد طابعها الشيوعي شيئا فشيئا وتحولت إلى مشاعات للفلاحين مستقلين عن بعضهم البعض . ولذا فإذا كان من الممكن أصلا طرح سؤال عما إذا كان ينتظر المشاعة الروسية مصير آخر أفضل فإن سبب ذلك لا يتأصل فيها بحد ذاتها ولكن يتأصل في سبب واحد هو أنها قد احتفظت في إحدى البلدان الأوروبية بقدرة نسبية على الحياة إلى الزمن الذي دخل فيه ليس الإنتاج البضاعي بوجه عام في أوروبا الغربية بل وحتى أعلى وآخر أشكاله ألا وهو الإنتاج الرأسمالي ، في تناقض مع القوى المنتجة التي أنشأها بنفسه ، وأصبح غير قادر على مواصلة توجيه هذه القوى وعندما يموت من جراء هذه التناقضات الداخلية والصدامات الطبقية الناجمة

عنها . ويتضح من هذا أن مبادرة مثل هذا التحول للمشاعة الروسية يمكن أن تنطلق بشكل استثنائى من بروليتاريا الغرب الصناعية وحدها وليس من المشاعة نفسها . أن انتصار بروليتاريا أوروبا الغربية على البرجوازية وما يترتب على ذلك من إبدال الإنتاج الرأسمالى بإنتاج يوجهه المجتمع هو الشرط التمهيدى الضرورى لرفع المشاعة الروسية إلى نفس هذه الدرجة من التطور .

وفى الواقع لم يحدث إطلاقاً فى أى مكان أن ولدت الشيوعية الزراعية التى ظلت باقية منذ النظام العشائرى من نفسها شيئاً سوى تحللها الذاتى . وكانت المشاعة الفلاحية الروسية نفسها تمثل فى عام ١٨٦١ (عام إلغاء نظام القنانة فى روسيا . الناشر .) شكلا واهنا نسبيا من أشكال هذه الشيوعية ، وكان على الفلاحة المشتركة للأرض التى كانت باقية فى بعض مناطق الهند وفى المشاعة البيتية السلافية الجنوبية والتى من المحتمل أن تكون منشأ المشاعة الروسية ، أن تفسح المجال أمام إدارة المزارع من قبل عائلات منفردة ، وكانت الملكية المشاعية قد ظهرت فقط فى إعادة تقسيم الأرض التى كانت تجرى فى مناطق مختلفة بعد فترات متباينة للغاية . وبمجرد ما تتوقف هذه التقسيمات بحد ذاتها أو نتيجة لقرار خاص ، تظهر أمامنا قرية من الفلاحين ذوى قطع الأرض المفتتة .

إلا أن تلك الحقيقة القائلة إن الإنتاج الرأسمالى فى أوروبا الغربية

بوجوده جنبا إلى جنب مع المشاعة الفلاحية الروسية يقترب فى نفس الوقت من لحظة هلاكه ويحمل فى طياته جنين شكل جديد من أشكال الإنتاج ستستخدم فيه وسائل الإنتاج على هيئة ملكية اجتماعية فى نظام منهاجى — أن تلك الحقيقـــة وحدها لا يمكن أن تنفخ فى المشاعة الروسية القوة التى تعطيها إمكانية أن تطور من نفسها هذا الشكل الاجتماعى الجديد . فعلى أى نحو تستطيع المشاعة استيعاب القوى المنتجة الهائلة للمجتمع الرأسمالى على هيئة ملكية اجتماعية وسلاح اجتماعى قبل أن يتمكن المجتمع الرأسمالى نفسه من تحقيق هذه الثورة ؟ وعلى أى نحو تستطيع المشاعة الروسية أن تبين للعالم كيفية إدارة الصناعة الضخمة على أسس اجتماعية فى الوقت الذى ضاعت فيه مقدرتها على زراعة أراضيها الخاصة وفق الأسس الإجتماعية ؟ .

ومن المستحيل تاريخيا أن يتأتى على المجتمع الموجود فى درجة أدنى من التطور الإقتصادى أن يحل المهام والنزاعات التى لم تكن تظهر أو حتى كان من الممكن أن تظهر سوى فى مجتمع يقف على درجة أعلى كثيرا من التطور . أن كل أشكال المشاعات العشائرية التى نشأت قبل ظهور الإنتاج البضاعى والتبادل الخاص لا يجمعها مع المجتمع الإشتراكى المقبل سوى شيء مشترك واحد هو أن وسائل الإنتاج، بعض الأشياء المعروفة ، توجد فى ملكية عامة واستخدام عام لجماعات معلومة . إلا أن هذه الخاصية المشتركة لا تجعل وحدها الشكل الإجتماعى الأدنى قادراً على أن يخلق من ذاته المجتمع الاشتراكى المقبل ، هذا النتاج

الأخير للمجتمع الرأسمالى والذى يولده هذا المجتمع بنفسه . وينبغى على كل من تلك التشكيلات الاقتصادية أن تحل مهامها الخاصة النابعة عن نفسها ؛ وإذا أقدمت على حل المهام المطروحة أمام تشكيلة أخرى غريبة تماما ، لكان هذا هذيانا مطلقا . ولا ينطبق هذا على المشاعة الروسية بدرجة أقل من المشاعة العائلية السلافية الجنوبية أو من المشاعة القبلية الهندية ومن أى شكل اجتماعى آخر . . . يتميز بالحيازة المشتركة لوسائل الإنتاج .

ولكن فى مقابل ذلك فإنه ليس من الممكن فقط بل ومن المؤكد ، بعد انتصار البروليتاريا وانتقال وسائل الإنتاج إلى الحيازة العامة لشعوب أوروبا الغربية ، التى أتيح لها لتوها السير على طريق الإنتاج الرأسمالى والتى ظلت فيها النظم العشائرية أو بقايا أمثالها حتى الآن ، أنها قد تستخدم بقايا الحيازة المشاعية هذه وما ترتب عليها من العادات الشعبية كوسيله جبارة لاختصار عملية تطورها إلى حد كبير إلى المجتمع الاشتراكى وتجنب الجزء الأكبر من تلك المعاناة وذلك النضال الذين تأتى علينا تمهيد الطريق عبرهما فى أوروبا الغربية . ولكن الشرط الحتمى لذلك هو قوة المثال والدعم النشيط من جانب الغرب الذى لا يزال رأسماليا بعد . وعندما يتحقق التغلب على الإقتصاد الرأسمالى فى وطنه وفى البلدان التى حقق فيها ازدهارا ، وعندما ترى البلدان المتخلفة ، على ضوء هذا المثال ، «كيف يتحقق ذلك» ، وكيف توضع

القوى المنتجة للصناعة الحديثة على هيئة ملكية اجتماعية لخدمة المجتمع بأسره ، حينئذ فقط تستطيع هـذه البلدان المتخلفة الوقوف على طريق مثل هذه العملية المختصرة للتطور . ولكن نجاحها فى هذه الحال مضمون دائما ...

وأنا لا أجرؤ على الحكم هل ظلت هذه المشاعة حتى الآن (فى روسيا . الناشر) بقدر تستطيع معه عند اللزوم ، كما كنت وماركس نؤمل فى عام ١٨٨٢ ، بالتوافق مع الانقلاب فى أوروبا الغربية أن تصبح نقطة إنطلاق للتطور الشيوعى . ولكن الذى لا يتطرق إليه الشك هو : أنه حتى يبقى شىء ما من هذه المشاعة ، يجب قبل كل شىء الإطاحة بالإستبداد القيصرى وقيام الثورة فى روسيا . فالثورة الروسية لن تنتزع الجانب الأعظم من الأمة ، أى الفلاحين ، من عزلة قراهم التى تمثل عالمهم ودنياهم فحسب ، ولن تخرج فقط بالفلاحين إلى مسرح عريض حيث يتعرفون على العالم الخارجى ومن ثم على أنفسهم ، فسيفهمون وضعهم الخاص ووسائل التخلص من الفاقة الحالية ، بل ستعطى أيضا دفعة جديدة للحركة العمالية فى الغرب وستهيىء لها ظروفا أفضل للنضال ومن ثم تسرع بتحقيق انتصار البروليتاريا الصناعية المعاصرة.

كتبت فى النصف الأول من كانون الثانى (يناير) ١٨٩٤ — ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٢٢ ص٤٤٣ - ٤٤٦ ، ٤٥٣

لينـــــين
من مقال : بصدد الكاريكاتور عن الماركسية
وبصدد (الاقتصادية الامبريالية) *

إن الثورة الإجتماعية لا يمكنها أن تحدث إلا بصورة عهد يجمع الحرب الأهلية التي تشنها البروليتاريا على البرجوازية في البلدان المتقدمة ضد جمله كامله من الحركات الديموقراطية والثورية ، بما فيها حركات التحرر الوطني ، في الأمم غير المتطورة والمتأخرة والمظلومة .

لماذا ؟ لأن الرأسمالية تتطور بصورة متفاوتة ، ولأن الواقع الموضوعي يبين لنا ، إلى جانب الأمم الرأسمالية العالية التطور ، جمله كامله من أمم ضعيفة جداً من الناحية الاقتصادية وغير متطورة إطلاقا من الناحية الإقتصادية .

ينبغي لنا نحن العمال الروس أن نطالب حكومتنا بالخروج من مونغوليا ومن تركستان ومن بلاد فارس ، وأنه ينبغي للعمال الانجليز

---

* وجه لينين مقاله هذا ضد من يسمون بـ « الإقتصاديين الامبرياليين » في الحركة العمالية ، والذين زعموا أن ضرورة النضال من أجل الديموقراطية « تزول » في عهد الامبريالية وطلبوا رفض الشعار القائل بحق الأمم في تقرير مصيرها . الناشر .

أن يطالبوا الحكومة الإنجليزية بالخروج من مصر ومن الهند ومن بلاد فارس إلخ

ولكن هل يعني ذلك أننا نريد نحن البروليتاريين الانفصال عن العمال والفلاحين المصريين ، عن العمال والفلاحين المونغوليين أو التركستانيين أو الهنود؟ وهل يعني ذلك أننا نحن ننصح جماهير الكادحين في المستعمرات « بالانفصال » عن البروليتاريا الأوروبية الواعية ؟ كلا ، قطعا . لقد أيدنا على الدوام وما نزال نؤيد وسنؤيد أوثق التقارب والاندماج بين العمال الواعين في البلدان المتقدمة والعمال والفلاحين والعبيد في جميع البلدان المظلومة . وكنا على الدوام ننصح جميع الطبقات المظلومة في جميع البلدان المظلومة ، بما في ذلك المستعمرات ، وسننصحها على الدوام بأن لا تنفصل عنا وبأن تقترب منا وتندمج فينا ما أمكن .

إننا سنبذل قصارى جهودنا للتقارب مع المونغوليين والفرس والهنود والمصريين والاندماج بهم ، ونحن نعتقد أن من واجبنا ومصلحتنا أن نفعل ذلك ، وإلا تكون الإشتراكية في أوروبا غير وطيدة . وسنبذل كل ما في وسعنا لنقدم لهذه الشعوب المتأخرة والمظلومة أكثر منا « المساعدة الثقافية النزيهة» حسب تعبير موفق للاشتراكيين ـ الديموقراطيين البولونيين ، أي مساعدتها على الانتقال إلى استخدام الماكينات وتسهيل العمل، على الانتقال إلى الديموقراطية، إلى الاشتراكيه .

(كتب في آب (اغسطس) تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٦ .

لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١١٢ ، ١١٩ – ١٢٠)

لينين
من الدعوة الى الرفاق الشيوعيين فى تركستان

اسمحوا لى أن أتوجه إليكم لا بصفتى رئيسا لمجلس مفوضى الشعب ولمجلس الدفاع ، بل بصفتى عضوا فى الحزب .

لانغالى إذا قلنا إن إقامة العلاقات الصحيحة مع شعوب تركستان * لها اليوم بالنسبة لجمهورية روسيا الإتحادية الإشتراكية السوفيتية أهمية قصوى ذات طابع تاريخى عالمى .

أن موقف جمهورية العمال والفلاحين السوفيتية حيال الشعوب الضعيفة المظلومة حتى اليوم سيكون ذا أهمية عملية بالنسبة لآسيا من أقصاها إلى أقصاها وبالنسبة لجميع المستعمرات ، للألوف والملايين من الناس .

---

* فى نيسان (إبريل) ١٩١٨ تم تأسيس جمهوريه تركستان الإشتراكيه السوفيتيه ذات الحكم الذاتى فى آسيا الوسطى ، على أراضى محافظة تركستان القائمه سابقا ضمن الإمبراطوريه الروسيه . ونتيجه تطوير كيانات الدولة الوطنيه السوفيتيه تأسست فى آسيا الوسطى فى أعوام ١٩٢٤ — ١٩٣٦ الجمهوريات التاليه : الأزبيكيه والطاجيكيه والتركمانيه والقرغيزيه ، والتى دخلت ، كالجمهوريات المتحدة ، إلى قوام الاتحاد السوفيتى . الناشر .

أرجوكم كل الرجاء أن تعيروا هذه المسألة قصارى انتباهكم ، وأن تبذلوا كل الجهود لإقامة العلاقات الرفاقيه مع شعوب تركستان على أساس الأعمال والأمثلة الحسيه ، وأن تبرهنوا لها بالأعمال خالص رغبتنا فى استئصال جميع آثار الامبرياليه الروسيه بغية النضال بتفان ضد الإمبرياليه العالميه وفى مقدمتها الإنجليزيه .

نشرت الدعوة فى ٧ — ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٩ — لينين المؤلفات الكامله المجلد ٣٩ ، ص ٤ ٣

لينين
من تقرير فى المؤتمر الثانى لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق *

. . . يسرنى جدا أن أستطيع توجيه التحيه لمؤتمر الرفاق الشيوعيين ممثلى منظمات الشرق الإسلاميه ، وأن ألقى بضع كلمات حول الوضع الراهن فى روسيا والعالم كله . إن موضوع تقريرى هو الوضع الراهن ، ويخيل إلى أن النقطه الجوهريه فى هذه المسألة اليوم هى موقف شعوب الشرق من الإمبرياليه والحركه الثوريه بين هذه الشعوب . وغنى عن

* انعقد المؤتمر فى موسكو من ٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) حتى ٣ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩١٩ . وحضر المؤتمر ٨٢ مندوبا يمثلون الأحزاب الشيوعيه والمنظمات الديموقراطيه الثوريه لجميع شعوب الشرق السوفيتى . فى اليوم الأول من أعمال المؤتمر ألقى لينين تقريرا عن الوضع الراهن . الناشر .

القول أن حركه شعوب الشرق الثوريه هذه لا يمكنها أن تتطور اليوم بنجاح كما لا يمكنها أن تجد حلا لها أن لم تكن عن صله وثقى بالنضال الثورى الذى تخوضه جمهوريتنا السوفيتيه ضد الإمبرياليه العالميه . وبحكم جمله من الظروف ، منها تأخر روسيا ومساحاتها الشاسعه وكونها على تخوم أوربا وآسيا ، على تخوم الغرب والشرق ، ترتب علينا — ونحن نرى فى ذلك شرفا عظيما — أن نأخذ على عاتقنا كل عبء المبادرين إلى الأحداث المتوقعه فى المستقبل القريب بتزايد النضال ضد الإمبرياليه العالميه اتساعا وعنادا وبأنه سيكون حتما على اتصال بنضال الجمهوريه السوفيتيه ضدقوى الإمبرياليه الموحدة .

. . . فاسمحوا لى أن أتناول فى الختام الوضع الناشىء حيال قوميات الشرق . أنتم تمثلون منظمات شيوعيه وأحزابا شيوعية لمختلف شعوب الشرق . وينبغى لى أن أقول أنه إذا كان قد تيسر للبلاشفه الروس أحداث صدع فى الامبرياليه القديمه ، إذا كانوا قد أقدموا على أداء مهمه فى منتهى العسر ولكنها فى منتهى النبل هى مهمة أحداث طرق جديدة للثورة ، فعلى عاتقكم أنتم ممثلى جماهير الكادحين فى الشرق تقع مهمه أعظم وأكثر جدة . إذ يتضح كل الوضوح أن الثورة الاشتراكيه التى تختمر فى جميع رقاع العالم لن تكون قط مجرد انتصار للبروليتاريا فى كل بلد على برجوازيتها . فلو كانت الثورات تجرى بسهولة وسرعه لكان ذلك من الأمور الممكنه . ونحن نعلم أن الامبرياليين لن يسمحوا

بذلك ، وأن جميع البلدان مسلحه ضد بلشفيتها الداخليه وأن تفكيرها يتجه كله إلى الانتصار على البلشفيه فى ديارها .

وعلى ذلك فالثورة الاشتراكيه لن تكون لا كليا ولا بصورة رئيسيه عبارة عن نضال البروليتاريين الثوريين فى كل بلد ضد برجوازتهم ، كلا ، بل ستكون نضالا من قبل جميع المستعمرات والبلدان التى تظلها الامبرياليه ، نضالا من قبل جميع البلدان التابعه ضد الامبرياليه العالميه . فى برنامج حزبنا المصادق عليه فى شهر آذار (مارس) من السنه الجاريه * نوهنا باقتراب الثورة الاجتماعيه العالميه قائلين أن حرب الكادحين الأهليه ضد الامبرياليين والمستثمرين أخذت فى جميع البلدان المتقدمه بجتمع مع الحروب الوطنيه ضد الامبرياليه العالميه . يؤكد ذلك مجرى الثورة وسيؤكده أقوى فأقوى . وسيحدث الشىء نفسه فى الشرق أيضا .

نحن نعلم أن الجماهير الشعبيه فى الشرق ستنهض بوصفها مشتركه مستقله فى الحياة الجديدة ، بوصفها صانعه للحياة الجديدة ، لأن مئات الملايين من سكان الشرق تنتسب إلى الأمم التابعه والمهضومه الحقوق التى كانت اليوم موضوعا لسياسه الامبرياليه الدوليه ، والتى كانت بالنسبه للحضارة والمدنيه الرأسماليتين توزيع الانتدابات على

---

* فى آذار ١٩١٩ صادق المؤتمر الثامن للحزب اللينينى على البرنامج الجديد الذى وجه البلاد السوفيتيه صوب بناء المجتمع الاشتراكى الناشر

المستعمرات ، فإنما يعنون توزيع الانتدابات للسلب والنهب وتخويل أقلية ضئيلة من سكان الأرض حق استثمار الأكثرية من سكان الكرة الأرضية . وهذه الأكثرية من سكان الكرة الأرضية . وهذه الأكثرية التي ظلت حتى اليوم بصورة تامة خارج إطار التقدم التاريخي لانه لم يكن بوسعها أن تمثل قوة ثورية مستقلة ، قد كفت في أوائل القرن العشرين ، ونحن نعلم ذلك ، عن أن تلعب هذا الدور السلبي . فنحن نعلم أنه عقب سنة ١٩٠٥ * وقعت الثورات في تركيا وبلاد فارس والصين ، وأن الحركة الثورية قد تطورت في الهند . وأن الحرب الامبريالية قد مهدت بدورها لتعاظم الحركة الثورية . إذ أنه تأتى أشراك أفواج كاملة من الشعوب المستعمرة في صراع الامبرياليين الاوربيين . وأيقظت الحرب الامبريالية الشرق أيضا ، وجذبت شعوبه إلى لجة السياسة الدولية . لقد سجلت انجلترا وفرنسا الشعوب المستعمرة وفسحتا لها مجال الاطلاع على العتاد الحربي والماكينات الحديثة . وستستخدم هذه الشعوب معرفتها هذه في النضال ضد السادة الامبرياليين ، وفي أثر مرحلة استيقاظ الشرق ستحل في الثورة المعاصرة

(*) يقصــــد لثنين ثوره ١٩٠٥ — ١٩٠٧ الديموقراطية البرجوازية في روسيا والتي تعتبر أول ثوره شعبيه في عهد الامبرياليه . الناشر .

مرحلة اشتراك جميع شعوب الشرق فى تقرير مصائر العالم كله ، لكيلا تكون مجرد وسيلة للاثراء . أن شعوب الشرق تستيقظ لكيما تعمل حقا وفعلا ولكيما يسهم كل شعب فى تقرير مصير البشرية بأسرها .

ولهذا اعتقد أنه سيترتب عليكم فى تاريخ تطور الثورة العالمية التى ستستمر سنوات عديدة وتتطلب جهودا كثيرة إذا حكمنا على أساس البداية ، سيترتب عليكم أن تلعبوا فى النضال الثورى وفى الحركة الثورية دورا كبيرا ، وأن تندمجوا فى نضالنا ضد الامبريالية العالمية . أن اشتراككم فى الثورة العالمية سيضعكم أمام مهمه عسيرة ومعقدة يكون النجاح فى تحقيقها أساساً للنجاح العام ، لأن أكثرية السكان هنا تهب لأول مرة إلى حركة مستقلة وتصبح عاملا فعالا فى النضال لإسقاط الامبريالية العالمية .

أن أكثرية شعوب الشرق فى وضع أسوأ من وضع أكثر بلدان أوربا تأخرا — روسيا ، غير أنه تيسر لنا أن نوحد الفلاحين والعمال الروس فى النضال ضد بقايا الاقطاعية وضد الرأسمالية ، فسار نضالنا بهذه السهولة لأن الفلاحين والعمال قد اتحدوا ضد رأس المال والاقطاعية وأن الاتصال بشعوب الشرق هو هنا أمر ذو أهمية فاصلة ، وذلك لأن أكثرية شعوب الشرق هى صورة نموذجية عن جماهير الكادحين — لا العمال الذين اجتازوا مدرسة المصانع والمعامل الرأسمالية — إنما

بجماهير الفلاحين الكادحين المستثمرين الرازحين تحت وطأة ظلم القرون الوسطى . لقد أظهرت الثورة الروسية أن البروليتاريين الذين تغلبوا على الرأسمالية وتضافروا مع الجماهير الغفيرة من الفلاحين الكادحين المبعثرين قد هبوا ضد مظالم القرون الوسطى مظفرين . وينبغى على جمهوريتنا السوفيتية الآن أن ترص حولها جميع شعوب الشرق المستيقظة كى تناضل مع هذه الشعوب ضد الامبريالية العالمية .

وفى هذا الحفل تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعيين فى العالم كله من قبل : ينبغى لكم أن تستندوا فى الميدانين النظرى والعملى إلى التعاليم الشيوعية العامة وأن تأخذوا بعين الاعتبار الظروف الخاصة غير الموجوده فى البلدان الأوروبية لكى يصبح بإمكانكم تطبيق هذه التعاليم فى الميدانين النظرى والعملى فى ظروف يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسى وتطرح فيها مهمة النضال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى . وهذه المهمة عسيره وفريده فى نوعها ، غير أنها مهمة تعطى أطيب الثمرات ، إذ تجذب إلى النضال تلك الجماهير التى لم يسبق لها أن اشتركت فى النضال ، وتتيح لكم من الجهة الأخرى الارتباط أوثق ارتباط بالأممية الثالثة* بفضل تنظيم الخلايا الشيوعية فى الشرق ،

(*) أن الأممية الثالثه ، الشيوعية ، التى وحدت ، بمبادره من لينين الأحزاب الشيوعية فى العالم بأسره ، تأسست فى آذار (مارس)١٩١٩ وزالت من الوجود عام ١٩٤٣ بعدما نفذت مهمتها الخاصة بتطوير وتدعيم الحركة الشيوعية العالمية . الناشر .

ينبغى لكم أن توجدوا أشكالا أصيلة لهذا التحالف بين البروليتاريين الطليعيين فى العالم كله وجماهير الكادحين والمستثمرين فى الشرق الذين غالبا ما يعيشون فى ظروف القرون الوسطى . لقد حققنا فى بلادنا على نطاق صغير ما ستحققونه أنتم فى بلدان كبيرة وعلى نطاق كبير . وأنى آمل أن تحققوا هذه المهمة الثانية بنجاح أيضاً . أن لديكم ، بفضل المنظمات الشيوعية الموجودة فى بلدان الشرق والتى تمثلونها أنتم هنا ، ارتباطا بالبروليتاريا الثورية الطليعية ، والمهمة التى تواجهكم هى أن تواصلوا الحرص على القيام بالدعاية الشيوعية فى داخل كل بلد من البلدان باللغة التى يفهمها الشعب .

وغنى عن القول أنه لن يحرز الانتصار النهائى غير بروليتاريا جميع بلدان العالم الراقية . ونحن الروس نبدأ القضية التى سترسخها البروليتاريا الانجليزية ، أو الفرنسية أو الألمانية ، ولكننا نرى أن هذه البروليتاريا لن تحرز النصر بدون مساعدة جماهير الكادحين فى جميع الشعوب المستعمرة المظلومة ، وفى مقدمتها شعوب الشرق . ينبغى لنا أن ندرك كل الإدراك أنه لا يمكن للطليعة وحدها أن تحقق الانتقال إلى الشيوعية . المهمة هى أن توقظ فى جماهير الكادحين النشاط الثورى الذى يحفزها إلى العمل والتنظيم بصرف النظر عن مستوى هذه الجماهير ، وأن تنقل إلى لغة كل شعب التعاليم الشيوعية الحقيقية المعدة للشيوعيين

فى البلدان الأرقى ، وأن تحقق المهام العملية التى تتطلب التحقيق دون إبطاء وأن تندمج فى النضال العام مع بروليتاريا البلدان الأخرى .

هذه هى القضايا التى لا تجدون حلولا لها فى أى كتاب من كتب الشيوعية ، ولكنكم تجدون حلولها فى النضال العام الذى بدأته روسيا . لا بد لكم من طرح هذه القضية ومن حلها بخبرتكم الخاصة ، وسيساعدكم فى ذلك ، من جهة ، التحالف الوثيق مع طليعة جميع الكادحين فى البلدان الأخرى ، ومن الجهة الأخرى ، القدرة على إيجاد السبيل إلى قلوب شعوب الشرق التى تمثلونها هنا . لا بد لكم أن تستندوا إلى البرجوازية التى تستيقظ لدى هذه الشعوب ولا بد لها أن تستيقظ لدى هذه هذه الشعوب ولا بد لها أن تستيقظ لدى هذه الشعوب ولا بد لها أن تستيقظ والتى لها مبرر تاريخى . وينبغى لكم فى الوقت نفسه أن تشقوا طريقكم إلى جماهير الكادحين والمستثمرين فى كل بلد من البلدان وأن تعلنوا لها باللغة التى تفهمها أنه لا سبيل إلى التحرر غير سبيل انتصار الثورة العالمية ، وأن البروليتاريا العالمية هى الحليف الوحيد لجميع الكادحين والمستثمرين الذى يبلغ تعدادهم مئات الملايين بين أبناء شعوب الشرق .

هذه هى المهمة التى تواجهكم ، وهى مهمة ذات أبعاد منقطعة النظير ، ولكن ما من شك فى أنه سيتم ، بفضل عهد الثورة وتعاظم الحركة الثورية ، وبتضافر جهود منظمات الشرق الشيوعية ، أداء هذه المهمة بنجاح والسير بها حتى الانتصار التام على الامبريالية العالمية ،

٢٢ تشرين الثانى (نوفمبر) لينين . المؤلفات الكاملة .

المجلد ٢٩ ، ص ٣١٨ ، ٣٢٦ — ٣٣١

لينين من تقرير اللجنة المختصه بالمسأله القوميه ومسأله المستعمرات

وقد أقرت لجنتنا بالاجماع الموضوعات الأولية مع التغييرات كما اقرت الموضوعات الاضافية . وهكذا أمكننا أن نصل إلى الاتفاق التام حول جميع القضايا الهامة . وسأقدم الآن بعض الملاحظات الموجزة .

أولا ، ما هو الأمر الأهم فى موضوعاتنا ، ما هى فكرتها الأساسية ؟ أنها الفرق بين الأمم المظلومة والأمم الظالمة . ونحن نبرز

(*) فى ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٢٠ ألقى لينين فى الجلسة الكاملة للمؤتمر الثانى للاممية الشيوعية تقريرا نيابة عن اللجنة المختصة بالمسألة القومية ومسألة المستعمرات والتى شكلها المؤتمر من ممثلى ١٨ حزبا شيوعيا : وشكلت الموضوعات التى حضرها لينين فى المسألة القومية ومسألة المستعمرات أساساً لمناقشة هاتين المسألتين فى اللجنة . وعلل لينين فى تقريره الفكرة القائلة بإمكانية انتقال البلدان والشعوب المتخلفة اقتصاديا إلى الاشتراكية مع تجنب آلام مرحلة التطور الرأسمالية . الناشر .

هذا الفرق ، على خلاف ما تفعل الأممية الثانية**، والديموقراطية البرجوازية . تهم البروليتاريا والأممية الشيوعية جداً في عصر الامبريالية بالاشارة إلى الوقائع الاقتصادية المعينة والانطلاق عند حل جميع قضايا المستعمرات والقضايا القومية لا من المبادىء المجردة ، بل من ظاهرات الحياة الواقعية .

أن السمة المميزة للامبريالية هي كون العالم كله منقسماً في الوقت الحاضر ، كما نرى ، إلى عدد كبير من الأمم المظلومة وعدد ضئيل من الأمم الظالمة في حوزتها الثروات الهائلة والطاقة الحربيه الجبارة . والأمم المظلومه التي توجد مباشرة في حالة المستعمرات أو حالة دول في وضع يشبه وضع المستعمرات كبلاد فارس وتركيا والصين ، أو في حالة دول أصبحت بموجب معاهدات الصلح في حالة تبعية شديدة لدولة إمبريالية كبرى بعد أن هزمها جيش هذه الدولة ، تؤلف الأكثرية الكبرى وهي تزيد على مليار نسمة ، وتبلغ في أكبر الظن ملياراً وربع مليار نسمة إذا اعتبرنا مجموع سكان الارض ملياراً

** الأمميه الثانيه اتحاد عالمي للاحزاب العمالية تأسس عام ١٨٨٩ قبل بداية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) وقف زعماء الاحزاب الاشتراكية في الأممية الثانية مواقف التوفيق مع الحكومات البرجوازية في بلدانهم وخانوا بذلك قضية الاشتراكية والطبقة العاملة . الناشر .

وثلاثة أرباع المليار ، أى أنها تؤلف حوالى ٧٠ فى المئه من سكان الأرض . وفكرة الفرق ، فكرة تقسيم الأمم إلى ظالمة ومظلومة ، بدت واضحة فى جميع الموضوعات . .

والفكرة الموجهة الثانية فى موضوعاتنا تتلخص فى كون العلاقات المتبادلة بين الشعوب ، فى كون نظام الدول العالمى ينسم ، فى الوضع العالمى الراهن بعد الحرب الامبريالية ، بنضال مجموعة غير كبيرة من الأمم الامبريالية ضد الحركة السوفيتية والدول السوفيتية وعلى رأسها روسيا السوفيتيه . وإذا ما غاب عنا ذلك لا يمكننا أن نطرح على الوجه الصحيح أى قضية من القضايا القومية أومن قضايا المستعمرات ، حتى ولو كانت هذه القضية تخص أبعد زوايا العالم . ولا يمكن للاحزاب الشيوعية سواء فى البلدان المتمدنه أو فى البلدان المتأخرة أن تطرح القضايا السياسية على الوجه الصحيح وأن تجد لها الحلول الصحيحة إلا فى حالة تبنيها لوجهة النظر المذكورة .

ثانيا ، بودى أن أشير إشارة خاصة إلى مسألة الحركة البرجوازية الديموقراطية فى البلدان المتأخرة . فهذه المسألة بالذات قد أثارت بعض الخلافات . لقد دار بيننا الجدال عما إذا كان صحيحا من الناحيتين المبدئية والنظرية أن نعلن أن تأييد الحركة البرجوازية الديموقراطية فى البلدان المتأخرة واجب مفروض على الأممية الشيوعية والأحزاب

الشيوعية أم أن ذلك غير صحيح ؛ وبنتيجة هذا الجدال اتفق الرأى على أن نتحدث عن الحركة الوطنية الثورية بدلا عن الحركة « البرجوازية الديموقراطيه » . وليس من شك فى أن كل حركة وطنية لا يمكن أن تكون غير حركة برجوازية ديموقراطية ، لأن الجمهور الأكبر من السكان فى البلدان المتأخرة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الرأسمالية — البرجوازية . ومن الوهم التصور أن الأحزاب البروليتارية تستطيع أن تطبق فى هذه البلدان المتأخرة الخطة الشيوعيه والسياسة الشيوعية — إذا أمكنها بوجه عام أن تنشأ فى هذه البلدان — دون أن تكون على علاقات معينة مع حركة الفلاحين ودون أن تؤيدها فعلا . غير أنه قدمت هنا اعتراضات مؤداها أنه إذا ما تحدثنا عن الحركة البرجوازية الديموقراطية يندثر كل فرق بين الحركة الاصلاحية والحركة الثورية . ومع ذلك ، ظهر هذا الفرق فى الآونة الأخيرة واضحا كل الوضوح فى البلدان المتأخرة وفى المستعمرات ، لأن البرجوازية تبذل كل جهودها لتغرس الحركة الاصلاحية كذلك بين الشعوب المظلومة . لقد تم بعض التقارب بين برجوازية البلدان الاستثمارية وبرجوازية المستعمرات ، مما جعل برجوازية البلدان المظلومة ، — مع تأييدها للحركات الوطنية ، تناضل فى الوقت نفسه ، فى حالات كثيرة ، بل قل فى معظم الحالات ، ضد جميع الحركات الثورية والطبقات الثورية بالاتفاق مع البرجوازيه الامبرياليه ، أى

معها . وقد أقيم على ذلك فى اللجنة البرهان القاطع ، ورأينا أن الطريق الوحيد الصحيح هو أن نأخذ هذا الفرق بين الاعتبار وأن نبدل تقريبا فى جميع الفقرات تعبير « البرجوازية الديموقراطية » بتعبير « الوطنية - الثورية » . ومغزى هذا التبديل يتلخص فى أنه لا يتوجب علينا ، بوصفنا شيوعيين ، أن نؤيد ، ولن نؤيد ، الحركات التحررية البرجوازية فى المستعمرات إلا فى الحالات التى تكون فيها هذه الحركات ثورية حقا وفى الحالات التى لا يعيقنا فيها ممثلو هذه الحركات عن تربية وتنظيم جماهير الفلاحين والجماهير الغفيرة من المستثمرين تربية ثورية وتنظيما ثوريا . وفى حالة انعدام هذه الظروف يتوجب على الشيوعيين فى هذه البلدان أن يناضلوا ضد البرجوازية الاصلاحية التى ينتمى إليها أبطال الأممية الثانية أيضا . لقد تأسست الأحزاب الاصلاحية فى المستعمرات ، ويحدث أن يسمى ممثلوا هذه الأحزاب أنفسهم بالاشتراكيين - الديموقراطيين والاشتراكيين . أن الفرق المشار إليه قد ذكر الآن فى جميع الموضوعات ، واعتقد أن صياغة وجهة نظرنا قد أصبحت الآن أدق جدا .

ثم أريد أن أتقدم بملاحظة أخرى حول سوفييتات الفلاحين . أن نشاط الشيوعيين الروس العملى فى المستعمرات القيصرية السابقة ، فى بلدان متأخرة كتركستان وغيرها ، وقد وضع أمامنا المسألة التالية : كيف نطبق الخطه الشيوعية والسياسة الشيوعية فى ظروف ما قبل

الرأسمالية لأن السمة المميزة الهامة فى هذه البلدان هى كون السيطرة فيها لعلاقات ما قبل الرأسمالية ، ولذلك لا مجال فيها لحركة بروليتارية صرفة . تكاد البروليتاريا الصناعية تكون معدومة فى هذه البلدان . وبالرغم من ذلك اضطلعنا فيها أيضا بدور القادة ، وينبغى لنا أن نضطلع بهذا الدور . وقد اتضح لنا من عملنا أنه ينبغى لنا فى هذه البلدان تذليل صعوبات جسيمة ، غير أن النتائج العملية التى أسفر عنها عملنا قد بينت أيضا أنه بالرغم من هذه الصعوبات يمكن أن توقظ فى الجماهير النزوع إلى التفكير السياسى المستقل وإلى النشاط السياسى المستقل حتى فى البلدان التى تكاد البروليتاريا تكون فيها معدومة . وظهر أن هذا العمل أصعب بالنسبة إلينا منه إلى رفاقنا فى بلدان أوروبا الغربية ، لأن البروليتاريا فى روسيا غارقة فى أعمال إدارة الدولة . ومن الواضح كل الوضوح أن الفلاحين الموجودين فى حالة تبعية شبه إقطاعية يمكنهم بكل تأكيد أن يتبنوا فكرة التنظيم السوفيتى وأن يطبقوها فعلا . ومن الواضح أيضاً أن الجماهير المظلومة المستثمرة لا من قبل رأس المال التجارى وحده ، بل أيضا من قبل الاقطاعيين والدولة القائمة على الأساس الاقطاعى ، تستطيع أن تستخدم هذا السلاح ، هذا النوع من التنظيم فى ظروفها أيضاً . أن فكرة التنظيم السوفيتى بسيطة وممكنة التطبيق لا حيال العلاقات البروليتارية وحدها ، بل أيضا حيال العلاقات الفلاحية الاقطاعية وشبه الاقطاعية :

وشبه الاقطاعيه . وما تزال خبرتنا فى هذا الحقل غير كبيرة جدا ، غير أن المناقشات التى دارت فى اللجنة والتى اشترك فيها عدد من ممثلى البلدان المستعمرة قد بينت بما لا يدع مجالا للشك أن موضوعات الأممية الشيوعيه يجب أن تتضمن الإشارة إلى أن سوفييتات الفلاحين ، سوفييتات صالحة لا فى البلدان الرأسمالية وحسب ، إنما هى صالحه أيضا للبلدان التى تسيطر فيها علاقات ما قبل الرأسماليه ، وأن واجب الأحزاب الشيوعية والعناصر المستعدة لتشكيل الأحزاب الشيوعية هو دوما شك الدعوة لفكرة سوفييتات الفلاحين ، سوفييتات الكادحين فى كل بلد وقطر ، فى البلدان المتأخرة وفى المستعمرات ، ومن واجبهم حيثما تنشأ الظروف ، أن يقوموا على الفور بمحاولات لإنشاء سوفييتات الشعب الكادح .

وفى هذا الحقل ينكشف أمامنا ميدان هام جدا من ميادين النشاط العملى يسترعى الانتباه . وما تزال خبرتنا المشتركة بهذا الصدد غير كبيرة جدا ، ولكن ستتجمع لدينا شيئاً فشيئاً مادة أغزر فأغزر . ولا جدال فى أنه يمكن للبروليتاريا فى البلدان المتقدمة بل يجب على هذه البروليتاريا أن تساعد جماهير الكادحين المتأخرة ، وفى أن تطور البلدان المتأخرة يمكن أن ينطلق من مرحلته الراهنة ، متى مدت البروليتاريا الظافرة فى الجمهوريات السوفيتية يدها لهذه الجماهير وقدمت لها المساعدة .

وقد دارت فى اللجنة حول هذه المسألة مناقشات حادة نوعا .

لقد طرحت المسألة بالشكل التالى : هل يمكننا أن نعتبر أن التأكيد القائل بأن المرحلة الرأسمالية فى تطور الاقتصاد الوطنى محتومة بالنسبة للشعوب المتأخرة التى تتحرر الآن والتى تلاحظ فى أوساطها بعد الحرب حركة فى اتجاه التقدم ، هو تأكيد صحيح . وقد كان جوابنا على هذا السؤال سلبيا . فإذا ما قامت البروليتاريا الثورية الظافرة بدعاية منتظمة بين هذه الشعوب ، وإذا ما ساعدتها الحكومات السوفيتية بجميع الوسائل الموجودة تحت تصرفها ، عندئذ يصبح من غير الصحيح التأكيد بأن مرحلة التطور الرأسمالى هى مرحلة محتومة بالنسبة للاقوام المتأخرة . أن واجبنا فى جميع المستعمرات والبلدان المتأخرة لا يقتصر على تكوين ملاكات مستقلة من المناضلين ، لا يقتصر على تشكيل المنظمات الحزبية والقيام حالا بالدعاية من أجل تنظيم سوفييتات الفلاحين والسعى كى تصبح هذه السوفييتات ملائمة لظروف ما قبل الرأسمالية ، إنما يتوجب كذلك على الأممية الشيوعية أن تقر وأن تثبت نظريا أنه بمساعدة البروليتاريا فى البلدان المتقدمة ، يمكن للبلدان المتأخرة أن تنتقل إلى النظام السوفييتى وإلى الشيوعية عبر درجات معينة من التطور ، متجنبة مرحلة التطور الرأسمالى .

ويستحيل أن نشير سلفا إلى الوسائل اللازمة لهذا الأمر . وستنبئنا بذلك الخبرة العمليه .

٢٦ تموز (يوليو) ١٩٢٠ .

لينين : المؤلفات الكاملة

المجلد ٤١ . ص٢٤١ — ٢٤٦

لينين

من تقرير حول الاستعاضة عن المصادرة بالضريبة العينية

(فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى (البلشفى) فى روسيا)*

أن تحويل المزارع الصغير ، تحويل كل ذهنيته وعاداته . إنما هو مهمة أجيال بكليتها . فقط الأساس المادى ، والتكنيك ، واستخدام التراكتورات والآلات فى الزراعة على نطاق واسع ، والكهربة على نطاق كبير ، فقط هذه العوامل بوسعها أن تحل هذه المسألة بالنسبة للمزارع الصغير ، أن تصلح كل ذهنيته ، إذا جاز القول . تلك هى العوامل التى كان بوسعها أن تبدل المزارع الصغير رأسا على عقب وبسرعة كبيرة . وعندما أقول أنه تنبغى أجيال بكاملها،

---

* انعقد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى (البلشفى) فى روسيا - كان ذلك هو إسم الحزب الشيوعى السوفييتى آنذاك — بموسكو فى ٨ — ١٦ آذار (مارس) ١٩٢١ . وأشرف لينين على أعمال المؤتمر ، ورسم المؤتمر السبل المؤدية للانتقال من الرأسمالية للاشتراكية فى الحياة الاقتصادية بما فيها الزراعة . الناشر .

فإنى لا أعنى أبدا أن ذلك يتطلب قرونا . أنكم تدركون جيدا أنه تنبغى عشرات السنين على الأقل من أجل الحصول على تراكتورات وآلات ومن أجل كهربة بلاد شاسعة . ذلك هو الوضع الموضوعى .

١٥ آذار (مارس) ١٩٢١ .

لينين . المؤلفات الكاملة

المجلد ٤٣ ، ص ٦٠ — ٦١

لينين
من كراس : عن الضريبة العينية *

وكل المسألة ، سواء من الناحية النظرية أو من العملية ، هى أن نجد الطرائق الصحيحة التى تتيح بالضبط توجيه تطور الرأسمالية المحتوم (إلى درجة معينة ولفترة معينة) وجهة رأسمالية الدولة ، أن نقيم الشروط الضرورية لذلك ، ونؤمن ، فى مستقبل غير بعيد ، تحويل رأسمالية الدولة إلى اشتراكية .

ولمجابهة حل هذه المسألة ، يجب ، قبل كل شىء ، أن نتصور ، بأوضح ما يمكن ، ما ستكون عليه رأسمالية الدولة وما يمكن أن

---

* فور انتهاء المؤتمر العاشر للحزب (آذار - مارس - ١٩٢١) الذى وضع برنامجاً اقتصادياً لمرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية، بما فيه إجراءات خاصة بالنهوض بالاقتصاد الوطنى و الثقافة لشعوب الأطراف القومية السابقة فى روسيا ، كتب لينين فى آذار (مارس) - نيسان (أبريل) كراسا « عن الضريبة العينية » الذى حلل فيه تحليلا عميقا القرارات التى اتخذها المؤتمر . فى أوائل أيار (مايو) خرج الكراس إلى الضوء . و فى نفس العام ترجم إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية . الناشر .

تكون عليه ، فى الواقع العملى ، فى قلب نظامنا السوفيتى ، فى نطاق دولتنا السوفيتية .

إن أبسط حالة أو مثال يبين الطريقة التى توجه بها السلطة السوفيتية تطور الرأسمالية وجهة رأسمالية الدولة ، و « تغرس » بها رأسمالية الدولة ، إنما هو مثال الامتيازات . أن الجميع عندنا متفقون الآن على أن الامتيازات ضرورية ولكن ليس الجميع يفكرون بدور الامتيازات. ماهى الامتيازات فى النظام السوفيتى ، إذا نظرنا إليها من حيث النماذج الاجتماعية الاقتصادية ومن حيث النسبة القائمة بينها ؟ إنها معاهدة ، كتلة تحالف ، بين سلطة الدولة السوفيتية ، أى البروليتارية ، ورأسمالية الدولة ضد العنصر الملاكى الصغير (البطريركى والبرجوازى الصغير) . أن صاحب الامتياز رأسمالى . وهو يدير مشروعه على النمط الرأسمالى . ليستدر منه الربح ، وهو يوافق على عقد معاهدة مع السلطة البروليتارية لكى يجنى ربحاً زائداً ، علاوة على الربح العادى ، أو لكى يحصل على المواد الأولية التى يستحيل أو يصعب الحصول عليها فائق الصعوبة بطريقة أخرى . والسلطة السوفيتية تجد فى ذلك فائدتها : فإن القوى المنتجة تتطور ، وكمية المنتجات تزداد فوراً أو فى أقصر الآجال عندنا ، مثلا ، مئة من الاستثمارات والمناجم والغابات . ونحن لا نستطيع أن نستغلها كلها ، نظراً لقلة الآلات والمأكولات ووسائط النقل . ولهذه الأسباب عينها ، نسيء استغلال القطاعات الأخرى . ان استغلال

المشروعات الكبيرة استغلالا سيئاً وغير كاف يؤدى إلى تقوية عنصر صغار الملاك بجميع ظواهره : ازدياد ضعف الزراعة المحلية (ثم الزراعة برمتها) ، تقويض قواها المنتجة ، هبوط الثقة بالسلطة السوفيتية ، أعمال الاختلاس ، المضاربة الصغيرة الشاملة (وهى الأشد خطراً) ، . . . إلخ . أن السلطة السوفيتية ، إذ « تغرس » رأسمالية الدولة بشكل الامتيازات ، تقوى الإنتاج المتطور عن الإنتاج المتأخر ، الإنتاج الآلى عن الإنتاج اليدوى ، وهى تزيد كمية المنتجات التى تعود إليها من الصناعة الكبيرة (حصتها) ، وتعزز العلاقات الاقتصادية التى تضبطها الدولة خلافا للعلاقات البرجوازية الصغيرة الفوضوية . وإذا طبقنا سياسة الامتيازات فى حدود معقولة وباحتراس . ساعدتنا بلا ريب فى أن نحسن بسرعة (إلى درجة معينة ، قليلة الارتفاع) حالة الإنتاج ، ووضع العمال والفلاحين ، مقابل بعض التضحيات بالطبع ، مقابل التنازل للرأسمالى عن عشرات وعشرات الملايين من البودات من المنتجات الثمينة للغاية . أما المقياس والشروط التى تكون الامتيازات بموجبها مفيدة وغير خطرة علينا ، فتحددها نسبة القوى . أن النضال هو الذى يبت فى هذا الأمر ، لأن الامتيازات هى أيضاً مظهر من مظاهر النضال ، هى استمرار النضال الطبقى بشكل آخر ، وليست أبداً إحلال السلام الطبقى محل النضال الطبقى . أن النشاط العملى سيبين طرائق النضال .

أن رأسمالية الدولة بشكل الامتيازات هى ، بالمقارنة مع سائر أشكال رأسمالية الدولة فى قلب النظام السوفيتى ، الشكل الذى ربما هو الشكل الأبسط ، الأوضح ، الأجلى ، الشكل ذو المعالم الأدق . فأمامنا هنا ، بكل جلاء ، معاهدة صريحة ، مكتوبة ، مع رأسمالية أوروبا الغربية ، الرأسمالية الأوفر ثقافة ، الأكثر تقدماً . ونحن نعرف بدقة الأجل الذى تمنح فيه الامتياز ، نعرف شروط الاسترداد والتعويض قبل الموعد ، إذا كانت المعاهدة تنص على هذا الحق . نحن ندفع «جزية» معينة للرأسمالية العالمية ، ندفع لها ، بهذا الصدد أو ذاك ، «فدية» ، مقابل حصولنا فوراً على درجة معينة من استقرار وضع السلطة السوفيتية ، من تحسين أحوال إدارتنا الاقتصادية .

ونحن ننزلق على الدوام إلى القول بأننا ننتقل «نحن» من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، ناسين أن نتصور بدقة ووضوح من هم هؤلاء «نحن» ولكى نكون فكرة واضحة عن ذلك ولكيلا ننساه ، يجدر ألا تغيب عن بالنا لائحة جميع الأجزاء المكونة ، لائحة جميع النماذج الاجتماعية الاقتصادية المختلفة بلا استثناء التى تؤلف اقتصادنا الوطنى .. «نحن» ، أى طليعة البروليتاريا ، فصيلتها المتقدمة ، نحن ننتقل مباشرة إلى الاشتراكية . ولكن الفصيلة المتقدمة ليست سوى قسم صغير من جماهير السكان جميعها . ولكى نتمكن «نحن» من أداء مهمتنا بنجاح ، وهى الانتقال مباشرة إلى الاشتراكية ، ينبغى لنا أن ندرك السبل

والطرائق والوسائل والأساليب الوسيطة التي لا غنى عنها للانتقال من العلاقات السابقة للرأسمالية إلى الاشتراكية . هنا مربط الفرس .

انظروا إلى خريطة جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفيتية في شمال فولوغدا ، وجنوب شرق روستوف على الدون وساراتوف ، وجنوب اورنبورغ واومسك ، وشمال تومسك * تمتد أراض شاسعة يمكن أن تقوم فيها عشرات من الدول الواسعة الراقية . ولكن الأوضاع البطريركية ، ونصف البربرية والبربرية بكل معنى الكلمة هي التي تسود في جميع هذه الأرحاب . وفي الأرياف النائية فيما تبقى من روسيا ، أي حيث عشرات الفراسخ من الطرق القروية ، أو بالأصح عشرات الفراسخ دون أي طريق ، تفصل القرية عن السكك الحديدية ، أي عن كل صلة مادية بالثقافة ، بالرأسمالية ، بالصناعة الضخمة ، بالمدينة الكبيرة ، ترى ، أليس النظم البطريركية . ونصف البربرية ، هي التي تسود في كل مكان ، في جميع هذه الأنحاء أيضاً ؟

فهل يمكن تصور الانتقال مباشرة من هذا الوضع . . . إلى الاشتراكية ؟ أجل ، إلى حد ما ، ولكن بشرط واحد ، هو الشرط الذي نعرفه اليوم بكل دقة بفضل العمل العلمي الشاسع المنجز ** . عنيت

---

* إن لينين يرسم هنا حدود المنطقة التي تقطنها شعوب البلاد السوفيتية التي لم تمر في نموها بمرحلة التطور الرأسمالي . الناشر .

** يقصد لينين خطة الدولة لكهربة روسيا (خطة غويلرو) التي اتخذت في كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٢٠ ، والمحسوبة لـ ١٠-١٥ سنة . الناشر .

بهذا الشرط الكهربة . فإذا توصلنا إلى بناء عشرات من المحطات الكهربائية المنطقية (ونحن نعرف اليوم أين وكيف يمكن ويجب بناؤها) ، وإذا توصلنا إلى تزويد جميع القرى بالطاقة الكهربائية من هذه المحطات ، وإذا توصلنا إلى تزويد جميع القرى بالطاقة الكهربائية من هذه المحطات ، وإذا توصلنا إلى الحصول على عدد كاف من المحركات الكهربائية وغيرها من الآلات ، حينذاك لن يقتضى الأمر أو يكاد أى درجات انتقالية ، أى حلقات وسيطة للانتقال من النظام البطريركى إلى الاشتراكية . ولكننا نعرف تماما أن هذا الشرط « الواحد » يتطلب عشر سنوات ، على الأقل لإنجاز أعمال الدفعة الأولى فقط .

والحال ، ينبغى لنا « بالنسبة للسنوات القادمة القريبة . أن نعرف كيف نفكر بالحلقات الوسيطة التى فى مستطاعها أن تسهل الانتقال من النظام البطريركى ، من الانتاج الصغير ، إلى الاشتراكية . فكثيرا ما يحدث « لنا » واليوم أيضاً ، أن ننزلق إلى الحكم التالى . «الرأسمالية شر والاشتراكية خير » . ولكن هذه العبارة خاطئة ، لأنها لا تأخذ بعين الاعتبار مجمل النماذج الاجتماعية الاقتصادية القائمة ، ولا تتعرض إلا لإثنين منها .

وبما أننا لا نستطيع بعد أن نحقق الانتقال المباشر من الانتاج الصغير إلى الاشتراكية ، فإن الرأسمالية أمر محتم ، إلى حد ما ،

بوصفها نتيجة طبيعية للانتاج الصغير والمبادلات ؛ فينبغي لنا إذن أن نستخدم الرأسمالية (ولا سيما بتوجيهها وجهة رأسمالية الدولة) بوصفها حلقة وسيطة بين الانتاج الصغير والاشتراكية ، بوصفها وسيلة ، سبيلا ، أسلوبا ، شكلا يتيح زيادة القوى المنتجة .

كتب فى أواخر آذار (مارس) — نيسان (ابريل) ١٩٢١
لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٤ ، ٢٢٧ — ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

لينين من تقرير
عن خطة الحزب الشيوعى فى روسيا *

. . . بودى أيضا أن انوه هنا بأهمية الحركة فى المستعمرات . ففى هذا الحقل نرى فى جميع الأحزاب القديمة ، فى جميع أحزاب العمال والبرجوازية الصغيرة . . . بقايا النظرات العاطفية القديمة : فهى على ما يزعم مفعمة بالعطف على الشعوب المظلومة فى المستعمرات وأشباه المستعمرات . ما يزالون ينظرون إلى الحركة فى المستعمرات على أنها حركة وطنية لا يؤبه لها وسلمية تماما . ولكن الأمر ليس كذلك . فمنذ بداية القرن العشرين حدثت فى هذه الناحية تغيرات كبيرة تتلخص

* القى لينين التقرير عن خطة الحزب الشيوعى فى روسيا فى المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية فى ٥ تموز (يوليو) ١٩٢١ . الناشر .

فيما يلى : أن الملايين ومئات الملايين — وفى الواقع الاكثرية الكبرى من سكان الكرة الأرضية — تبرز فى الوقت الحاضر بصفة عوامل ثورية نشيطة مستقلة . ومن الواضح كل الوضوح أن حركة أكثرية سكان الكرة الأرضية التى تتجه فى البدء وجهة التحرر الوطنى ، ستنقلب على الرأسمالية والامبريالية فى المعارك الفاصلة التى ستخوضها الثورة العالمية فى المستقبل ، وقد تلعب دورا ثوريا أكبر جداً مما نتوقع . ومن الهام أن نشير إلى أننا ، لأول مرة فى اممیتنا* ، نتناول اعداد هذا النضال . والصعوبات فى هذا الميدان الفسيح هى ، بالطبع ، أكثر جداً ، غير أن الحركة تسير إلى الأمام على كل حال ؛ وجماهير الكادحين — الفلاحون فى المستعمرات — ستلعب ، على الرغم من أنها ما تزال الآن متأخرة ، دورا ثوريا كبيراً جداً فى المراحل المقبلة للثورة العالمية .

كتب فى ٥ تموز (يوليو) ١٩٢١ لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٣٨ .

---

* يقصد لينين الاممية الشيوعية . الناشر .

لينين
حديث مع وفد جمهورية منغوليا الشعبية *

السؤال الأول من الوفد المونغولي : « ما رأيك ، يا رفيق لينين ، بإنشـــاء الحزب الثوري الشعبي في بلادنا ، وما هو الشيء الرئيسي بالنسبة لنا ؟ » .

أوضح الرفيق لينين لوفدنا وضع بلادنا الدولي وأشار إلى أن الدول الامبريالية ستحاول ، في حال الحرب ، أن تستولي على بلادنا ، بحكم الموقع الجغرافي لجمهورية مونغوليا الشعبية ، وان تحولها إلى رأس جسر ضد بلد آخر . ولهذا ، قال الرفيق لينين ، أن السبيل الصحيح الوحيد أمام كل كادح في بلادكم هو النضال من أجـــل الاستقلال السياسي والاقتصادي بالتحالف مع عمال وفلاحي روسيا السوفييتية ، ولا يجوز خوض هذا النضال بصورة منعزلة ، ولهذا كان إنشاء حزب الآراط ** المونغوليين شرطا لنجاح نضالهم .

---

* جرى هذا الحديث في الكرملين في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ . وكان ضمن الوفد سوخي باتور زعيم الثورة المونغولية . الناشر .

** آراط — الرعاة الرحل والفلاحون في مونغوليا . المعرب .

السؤال الثانى من الوفد المونغولى : « هل يحرز نضال التحرر الوطنى النصر ؟ » .

وأجاب الرفيق لينين :

« أنا شخصيا اشترك فى الحركة الثورية منذ ٣٠ سنة وأعرف بتجربتى الشخصية مبلغ الصعوبة التى يجابهها كل شعب فى التحرر من مستعبديه الخارجيين والداخليين . ولكن مونغوليا ، رغم أنها بلد تربية الماشية ، ورغم أن سواد سكانها رعاة رحل ، قد حققت نجاحات كبيرة فى ثورتها ، والرئيسى أنها وطدت هذه النجاحات بإنشاء حزبها الثورى الشعبى ، ومهمته أن يصبح حزبا جماهيريا وأن يحول دون تغلغل العناصر الغريبة وتعكيره » .

السؤال الثالث من الوفد المونغولى : «ألا ينبغى على الحزب الثورى الشعبى أن يتحول إلى حزب شيوعى ؟ » .

جواب الرفيق لينين :

« أنا لا أوصى بهذا لأنه لايجوز « تحويل » هوية الحزب » .
وأوضح الرفيق لينين كنه الحزب الشيوعى بوصفه حزب البروليتاريا وقال : « لايزال يترتب على الثوريين أن يبذلوا الكثير من الجهد فى بنائهم السياسى والاقتصادى والثقافى قبل أن ينشأ من عناصر الرعاة جمهور بروليتارى يساعد فيما بعد على « تحويل » الحزب الثورى

الشعبي إلى حزب شيوعي . أن مجرد تغيير اللافتة ضار وخطر » .

وشرح الرفيق لينين بإسهاب لوفدنا فكرة إمكانية وضرورة التطور غير الرأسمالي في جمهورية مونغوليا الشعبية ، مع العلم أن الشرط الرئيسي الذي يضمن الانتقال إلى طريق التطور غير الرأسمالي هو تقوية عمل الحزب الثوري الشعبي والحكومة لكي يؤدي هذا العمل واشتداد نفوذ الحزب والسلطة إلى تنامي التعاونيات وظهور أشكال جديدة لإدارة الاقتصاد وللثقافة الوطنية وتلاحم طبقة الآرات حول الحزب والحكومة لأجل تطوير البلد في ميداني الاقتصاد والثقافة . فقط من جريرات النموذج الاقتصادي الجديد الناشيء بتأثير الحزب والحكومة ، سيتكون النظام الاقتصادي الجديد غير الرأسمالي في مونغوليا الآراتية .

لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٤ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

لينين
من مقال : حول التعاون *

لا يظهر أى نظام اجتماعى للوجود إلا بتأييد مالى من طبقة معينة . ولا حاجة إلى التذكير بما كلفته ولادة الرأسمالية « الحرة » من مئات ومئات الملايين من الروبلات . فينبغى لنا اليوم أن نفهم وأن نضع موضع التطبيق هذه الحقيقة وهى أن النظام الاجتماعى الذى يجب علينا أن ندعمه فى الوقت الحاضر أكثر من المعتاد ، هو النظام التعاونى . . .

ينبغى منح التعاون جملة من الامتيازات الاقتصادية والمالية والمصرفية ؛ على هذا ينبغى أن يقوم التأييد الذى توليه دولتنا الاشتراكية

---

* عمم لينين فى مؤلفه « حول التعاون » خبرة تطور التعاون وإنشاء المزارع التعاونية الأولى فى روسيا السوفييتية ، فوضع خطة تعاونية لإعادة بناء حياة الفلاحين على أسس اشتراكية . ان إنشاء القاعدة المادية الضرورية وجذب الفلاحين تدريجيا إلى الاشكال الجماعية لتسيير الأمور الاقتصادية مع مراعاة مبدأ الطوعية مراعاة صارمة ، ومساعدة التعاونيات من جانب الدولة بجميع الوسائل — تلك هى الأحكام الرئيسية فى الخطة التعاونية اللينينية . الناشر .

إلى المبدأ الجديد لتنظيم السكان . ولكن ذلك لا يشكل سوى الخطوط العامة من المهمة ، إذ ما يزال يتعين علينا توضيح الناحية العملية من المهمة ووصفها بالتفصيل ، أى أنه ما يزال يتعين علينا إعداد شكل « المكافآت » (وكذلك الشروط التى ستمنح بها) . . . الذى يتيح لنا تقديم ما يكفى من المساعدة للتعاونيات واعداد تعاونيين متمدنين . والحال ، أن نظام التعاونيين المتمدنين ، عندما يملك المجتمع وسائل الإنتاج وتكون البروليتاريا قد تغلبت على البرجوازية بوصفها طبقة ، إنما هو النظام الاشتراكى . . .

. . . ولكن هذا الشرط – أى تنظيم جميع السكان فى التعاونيات – يفترض درجة من الثقافة لدى الفلاحين (وأقول الفلاحين ، لأنهم يشكلون جمهورا غفيرا جدا) يستحيل معها تعميم هذا التنظيم فى التعاونيات دون ثورة ثقافية كاملة .

لقد قال لنا خصومنا مرات عديدة أننا نقوم بعمل أخرق ، لأننا نريد غرس الاشتراكية فى بلد غير مثقف ثقافة كافية . ولكنهم كانوا على ضلال حين اتهمونا بأننا لم نبدأ من حيث كان يقتضى البدء حسب النظرية (نظرية المتحذلقين من كل شاكلة وطراز) وبأن الانقلاب السياسى والاجتماعى فى بلادنا قد سبق هذا الانقلاب الثقافى ، هذه الثورة الثقافية التى نواجهها مع ذلك الآن .

يكفى لنا اليوم أن نقوم بهذه الثورة الثقافية لكى تغدو بلادنا بلاداً اشتراكية تماما . ولكن هذه الثورة الثقافية تنطوى ، بالنسبة لنا ، على مصاعب لا تصـــدق ، مصاعب ثقافية صرفا (فنحن اميون) ، ومصاعب مادية أيضا (فلكى نصبح أناسا مثقفين ، ينبغى أن تكون وسائل الإنتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغى امتلاك قاعدة مادية معينة) .

كتب فى ٤ و ٦ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣ . لينين المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٥ ، ص ٣٧١ ، ٣٧٣ - ٣٧٧ .

لينين من مقال : حول ثورتنا (بصدد مذكرات ن . سوخانوف) *

١

تصفحت فى هذه الأيام مذكرات سوخانوف عن الثورة . أن ما يبرز بخاصة ، إنما هو حذلقة جميع ديموقراطيينا البرجوازيين

---

* قرأ لينين ، بعد أن اشتد عليه المرض كتاب « مذكرات عن الثورة » بقلم المحرف اليمينى الروسى سوخانوف الذى حاول فيها التشكيك فى حتمية ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وفى ١٦ - ١٧ كانون الثانى (يناير) املى لينين ملاحظاته حول كتاب سوخانوف . الناشر .

الصغار ، مثلهم مثل جميع فرسان الاممية الثانية . أن ما يبرز بخاصة ، إنما هو تقليدهم الذليل للماضى ، هذا فضلا عن أنهم جبناء إلى حد لا يصدق ، حتى أن خيرتهم يناورون ويتهربون ما أن يكون المقصود أقل ابتعاد عن النموذج الألمانى ، هذا فضلا عن هذه الصفة من طباع الديموقراطيين البرجوازيين الصغار ، التى أبدوها كافة طول الثورة .

جميعهم يقولون عن أنفسهم أنهم ماركسيون ولكنهم يفهمون الماركسية بأكثر ما يمكن من الحذلقة . أنهم لم يفهموا قط ما فى الماركسية من أساسى ، أى ديالكتيكها الثورى . . .

. . . أن سنة التطور العامة فى التاريخ العالمى كله ، لا تستبعد ، بل بالعكس ، تفترض بعض مراحل أصيلة من التطور ، اما من حيث شكل التطور ، اما من حيث تسلسله ، ـ وهذه الفكرة غريبة عنهم اطلاقا . . حتى أنه لا يخطر ببالهم ، أن روسيا الواقعة بين بلدان متمدنة وبين بلدان حملتها هذه الحرب ، للمرة الأولى ، وبصورة نهائية إلى المدنية ، أى بلدان الشرق كله ، البلدان غير الاوروبية ، ـ أن روسيا كانت تستطيع بالتالى وكان يجب عليها أن تقدم بعض الميزات الخاصة التى تقع ، بالطبع ، فى الخط العام للتطور العالمى ، ولكنها تميز ثورتها عن جميع الثورات السابقة فى بلدان أوروبا الغربية وتحمل بعض التجديدات الجزئية عندما يتعلق الأمر بالبلدان الشرقية .

وهكذا نراهم يكررون نصوصا حفظوها غيبا خلال تطور

الاشتراكية ـ الديموقراطية فى أوروبا الغربية ، وفحواها القول أننا لم ننضج للاشتراكية ، وأننا لا نملك المقدمات الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية ، حسب تعبير بعض السادة من « علمائهم » . ولا يخطر على بال أحد أن يتساءل : إذا ما جابه شعب وضعا ثوريا كالوضع الذى تبدى أثناء الحرب الامبريالية الأولى ، أليس بوسع هذا الشعب أن يندفع ، تحت طائلة حالة لا مخرج منها ، إلى خوض نضال يوفر له بعض الأمل بالظفر بشروط غير مألوفة تماما من أجل تطوير مدنيته ؟

« أن روسيا لم تبلغ ، من حيث تطور القوى المنتجة ، الدرجة الضرورية التى تجعل الاشتراكية أمرا ممكنا » . أن هذه الموضوعة ، إنما يبرزها ويتباهى بها جميع فرسان الأممية الثانية ، بمن فيهم سوخانوف طبعا . هذه الموضوعة التى لا جدال حولها ، إنما يلوكونها ويكررونها بمختلف الأشكال ويبدو لهم أنها حاسمة لتقدير ثورتنا .

ولكن ، ماذا إذا كان تراكم أصيل من الظروف قد قاد روسيا فى بادىء الأمر إلى الحرب الامبريالية العالمية التى اشتركت فيها جميع بلدان أوروبا الغربية ، التى تتمتع ولو ببعض النفوذ ، وإذا كان ذلك قد قاد تطور روسيا على حافة الثورات الناشئة والثورات التى بدأت جزئيا فى الشرق ، إلى ظروف تتيح لنا أن نحقق بالضبط هذا الاتحاد بين

« حرب الفلاحين » والحركة العمالية ، الذى كان يعتبره « ماركس » كماركس ، فى ١٨٥٦ ، احتمالا من الاحتمالات الممكنة بالنسبة لبروسيا ؟

وماذا إذا كان الوضع الذى لا مخرج منه إطلاقا ، قد ضاعف قوى العمال والفلاحين عشر مرات ، فأتاح لنا إمكانية الشروع بتوفير المقدمات الأساسية للمدنية ، على نحو غير النحو الذى نحته جميع الدول الأخرى فى أوروبا الغربية ؟ فهل تعدل من جراء ذلك الخط العام لتطور التاريخ العالمى ؟ هل تغيرت النسب الأساسية بين الطبقات الأساسية فى كل دولة تنجر أو انجرت فى حركة التاريخ العالمى العامة ؟

إذا كان ينبغى ، فى سبيل إنشاء الاشتراكية ، بلوغ مستوى معين من الثقافة (مع العلم أنه ما من أحد يستطيع أن يقول بدقة ما هو هذا « المستوى » المعين « من الثقافة » ، لأنه يختلف فى كل من دول أوروبا الغربية) ، فلماذا لا يمكن لنا أن نبدأ أولا بالظفر ، عن طريق الثورة ، بالشروط المسبقة لهذا المستوى المعين ، لكى نتحرك فيما بعد للحاق بالشعوب الأخرى ، مستندين إلى حكم العمال والفلاحين وإلى النظام السوفييتى ؟

٢

تقولون : لأجل بناء الاشتراكية ، ينبغى أن نكون متمدنين . جيد جدا . ولكن ، لم لا نستطيع أن نبدأ بتوفير هذه الشروط المسبقة للمدنية عندنا كطرد الملاك العقاريين وطرد الرأسماليين الروس لكى نبدأ سيرنا بعد ذلك نحو الاشتراكية ؟ فى أية كتب قرأتم أن مثل هذه التغييرات فى التسلسل التاريخى العادى هى أمر غير مقبول أو غير ممكن . . .

غير أن سوخانوف واضرابه فى بلادنا ، وبالاحرى الاشتراكيين — الديموقراطيين الواقفين أبعد منهم إلى اليمين ، حتى لا يحلمون قط أنه لا للثورات ، أن تتم على نحو آخر . بل أن برجوازيينا الصغار الاوروبيين لا يحلمون أبدا أن الثورات اللاحقة — فى بلدان الشرق حيث عدد السكان أكثر إلى ما لا حد له وحيث الأوضاع الاجتماعية أكثر تنوعا إلى ما لا حد له ، — ستفاجئهم ، بكل تأكيد ، بقدر من الميزات الخاصة أكثر بكثير مما أعطته الثورة الروسية .

كتبت فى ١٦ - ١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٣ .

لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٥ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ٣٨١ .

ملحق

من الوثيقة الاساسية

للمؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية

في موسكو

(مهمات النضال ضد الامبريالية في المرحلة الراهنة ووحدة أعمال الاحزاب الشيوعيه والعمالية وجميع القوى المعاديه للامبرياليه) *

في أغلبية الدول المستقلة في آسيا وأفريقيا غدت قضايا تذليل التخلف الاقتصادي ، وبناء الاقتصاد الوطني المستقل بما فيه الصناعة الوطنية ، ورفع مستوى حياة الشعب ، القضايا المركزية في مضمار التطور الاجتماعي ، إلى جانب مهمات توطيد وحماية الاستقلال السياسي والسيادة . وأن حل هذه القضايا يقتضي تحويلات اجتماعية اقتصادية عميقة ، وتطبيق اصلاحات زراعية ديموقراطية في مصلحة الفلاحين الكادحين وبمشاركتهم ، والقضاء على العلاقات البائدة ، الاقطاعية والسابقة للاقطاعية ، وتصفية تحكم الاحتكارات الأجنبية ، واشاعة الديموقراطية

---

* انعقد المؤتمر العالمي لـ ٧٥ حزبا شيوعيا وعماليا في موسكو من ٥ إلى ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٩ . اقر المؤتمر الوثيقة الأساسية في ١٧ يونيو ١٩٦٩ .

بصورة جذرية فى الحياة الاجتماعية والسياسية وجهاز الدولة ، وبعث الثقافة الوطنية وتطوير تقاليدها التقدمية ، وتوطيد الأحزاب الثورية وتأسيس أحزاب ثورية حيث لا وجود لها . أن قضايا الساعة فى مضمار التطور الاجتماعى فى هذه الدول ليست الآن موضوع نضال حاد بين شعوبها والاستعمار الجديد وحسب ، بل أيضا موضوع مصادمات اجتماعية داخلية . وتتسم إقامة علاقات الصداقة والتعاون الفعال مع البلدان الاشتراكية بأهمية كبيرة بالنسبة للدول المستقلة فى آسيا وأفريقيا .

وبتأثير ظروف زمننا الثورية ، انبثقت أشكال أصيلة للتطور الاجتماعى التقدمى فى البلدان المتحررة ، وتعاظم دور القوى الثورية الديموقراطية . فقد سلكت بعض الدول الفتية السبيل اللارأسمالى ، ـ السبيل الذى يؤمن إمكانية تصفية التأخر الموروث عن الماضى الاستعمارى ، وتوفير الظروف والشروط لأجل الانتقال إلى التطور الاشتراكى . أن الوجهة الاشتراكية فى هذه البلدان تشق لنفسها الطريق مذللة مصاعب ومحنا كبيرة . وهذه الدول تناضـــل بحزم وعزم ضد الامبريالية والاستعمار الجديد .

أن البلدان التى سلكت السبيل الرأسمالى لم تستطع أن تحل أيا من القضايا الأساسية التى تواجهها وإذ تصطدم الوجهة الداخلية فى هـذه

البلدان باشتداد استياء الشعب ، تشن ، بدعم من الامبريالية ، الحملات على الحريات الديموقراطية ، وتقمع بقساوة فى عدد من الأحوال الحركة الديموقراطية والوطنية للجماهير . وتؤجج نيران النزاعات بين الجماعات القومية والعرقية والدينية والقبلية واللغوية ، معرضة بالتالى للخطر الاستقلال الذى نالته هذه البلدان .

وتبدى الامبريالية عداوة خاصـــة حيال البلدان ذات الأنظمة التقدمية ، راغبة فى صرف هذه البلدان عن السبيل الذى اختارته ، ويحاول الامبرياليون تفسيخ أحزابها السياسية ، واخضاع المؤسسات التنويرية والثقافية ووسائل الاعلام الجماهيرى لنفوذهم ، وينظمون هناك شبكات من العملاء المعادين للثورة ، ويساندون العناصر الرجعية فى جهاز الدولة والقوات المسلحة ، ويبذلون جهدهم لاستغلال أوهام العداء للشيوعية ، لكى يبذروا بذور النفور بين الوطنيين .

إن سبيل أداء مهمات التطور الوطنى والتقدم الاجتماعى والرد الفعال على دسائس الاستعمار الجديد ، إنما هو سبيل تنشيط الجماهير الشعبية ، ورفع دور البروليتاريا والفلاحين ، وتراص صفوف الشبيبة الكادحة والطلاب والمثقفين والفئات المتوسطة فى المدن ، وأوساط الجيش الديموقراطية ، وجميع القوى التقدمية الوطنية . وإلى هذا التراص تدعو الأحزاب الشيوعية والعمالية .

أن الشيوعيين يذودون عن حرية شعوبهم واستقلالها الوطني ومستقبلها الاشتراكي ، وهم حملة أفكار الاشتراكية العلمية ، والمناضلون الطليعيون في حركة التحرر الوطني . ومصالح هذه الحركة ومصالح التقدم الاجتماعي لشعوب البلدان التي تحررت مؤخرا تقتضي التعاون الوثيق بين الأحزاب الشيوعية وسائر القوى الوطنية والطليعية . أن العداء للشيوعية وملاحقة الشيوعيين يضران بالنضال في سبيل تحرر الشعوب الوطني والاجتماعي .

« المؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية . وثائق ومواد . موسكو . ٥ – ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٩» . موسكو، ١٩٦٩ ، ص ٣١٢-٣١٤ .

ليونيد بريجنيف

من (تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والمهمات التي تواجه الحزب حاليا في ميدان السياسة الداخلية والخارجية) أمام المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي

أن علاقات الاتحاد السوفييتي بالبلدان التي تحررت من التبعية الاستعمارية أو التي تسمى أيضا بالبلدان النامية اتسعت وقويت في الفترة ما بين المؤتمرين . والشيء المهم بشكل خاص أن محتوى علاقاتنا السياسي قد ازداد غنى :

ولا شك أن التغيرات الكبيرة التى طرأت على الحياة الداخلية للبلدان النامية وعلى السياسة الدولية قد ساعدت فى تدعيم التعاون معها .

فما هى الاتجاهات الرئيسية للتغيرات التى حدثت فى السنوات الأخيرة فى كثير من البلدان المتحررة ؟ أنها انتقال مركز الثقل فى تطوير الصناعة إلى القطاع العام ، وتصفية الاقطاع فى الزراعة ، وتأميم المؤسسات الأجنبية الرامى إلى بسط السيادة الفعلية للدول الناشئة على مواردها الطبيعية ، وتكوين كوادرها . وباختصار تجرى تغييرات تقدمية عميقة فى هذا الجزء من العالم بالرغم من الصعوبات . وهذه طبعا عملية ذات أهمية تاريخية .

وتجرى فى كثير من البلدان المتحررة عملية معقدة لتمايز القوى الطبقية ويتعاظم الصراع الطبقى . ويتجلى هذا بأشكال مختلفة . فقد حدثت تغيرات تقدمية جديدة فى الاقتصاد والحياة السياسية للبلدان العربية والافريقية والآسيوية ذات الاتجاه الاشتراكى . وهناك أيضا بلدان مضى التطور فيها على الطريق الرأسمالى .

ولقد تعرض بعض الأنظمة والمنظمات السياسية التى أعلنت أهدافا اشتراكية والتى تجرى تحولات تقدمية ، لضغط شديد من الرجعية الداخلية والخارجية . . .

أن موقف الاتحاد السوفييتى من العمليات المعقدة الجارية فى

البلدان النامية واضح ومحدد. فالاتحاد السوفييتى لا يتدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان والشعوب الأخرى. وأن احترام الحق المقدس لكل شعب وكل بلد فى أن يختار طريقه فى التطور هو مبدأ ثابت فى السياسة الخارجية اللينينية. ولكننا لا نخفى وجهات نظرنا. فنحن متحيزون لقوى التقدم والديمقراطية والاستقلال الوطنى فى البلدان النامية، وفى كل مكان آخر، وننظر إلى هذه القوى نظرتنا إلى أصدقاء ورفاق لنا فى النضال.

أن حزبنا يقدم وسيظل يقدم الدعم للشعوب التى تحارب من أجل حريتها. وفى هذا لايبحث الاتحاد السوفييتى عن أية منافع لنفسه ولا يسعى وراء الامتيازات ولا يعمل من أجل السيطرة السياسية ولايطلب قواعد حربية. إنما نعمل كما يأمرنا ضميرنا الثورى ومعتقداتنا الشيوعية.

٢٤ شباط (فبراير) ١٩٧٦. «مواد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى للسوفييتى». موسكو، ١٩٧٧، ص ١١ - ١٢.

من الوثيقة

(في سبيل الحرية والاستقلال ، من أجل البعث الوطني والقومي والتقدم الاجتماعي لشعوب أفريقيا الاستوائية والجنوبيه) التي أقرها اجتماع ممثل الأحزاب الشيوعيه والعماليه في القارة الافريقيه

لقد تبلورت في أفريقيا وجهتان متضادتان للتطور الاجتماعي — نحو الاشتراكية ونحو الرأسمالية . وتركت خاصية الأوضاع الافريقية أثرها على كلا الاتجاهين . . .

أن الوجهة الرأسمالية لبعض الدول الافريقية الحالية نشأت وتستمر تحت تأثير الجهود الموحدة من قبل الامبريالية العالمية والأوساط الموالية للامبريالية من البرجوازية المحلية والارستوقراطيين التقليديين . وفي الوقت ذاته يتحدد انعدام أفاق الرأسمالية تاريخيا بوصفها النظام الاجتماعي في القارة الافريقية ، بأزمتها العامة على الصعيد العالمي وعجزها عن حل القضايا الملحة للبلدان الافريقية . يقينا أن ذلك لا يستثني إمكانية وعقلانية الاستخدام المؤقت ، وتحت اشراف صارم من جانب الدولة ، للرأسمال المحلي والرأسمال الأجنبي لصالح تطوير القوى الإنتاجية . وقد يتخذ قطاع الدولة الرأسمالي ، في ظل سياسة وطنية سليمة وثابتة ، المنحى المعادي للامبريالية حتى في بلدان الوجهة الرأسمالية ، حيث

تظهر تحت ضغط الجماهير الشعبية إمكانيات لتطبيق التدابير والتحويلات التقدمية . . .

ويعتبر الانتقال المباشر من العلاقات ما قبل الرأسمالية إلى العلاقات الاشتراكية أمرا مستحيلا بالنسبة للاكثرية الساحقة من البلدان الافريقية التى أخر الاستعمار تطورها الاجتماعى ، إذ أنه يترتب عليها ، قبل الشروع بحل مهام البناء الاشتراكى ، أن تمر بجملة من المراحل الوسطية ، بفترة انتقالية طويلة إلى هذا الحد أو ذاك . خلال هذه الفترة الانتقالية يفسح التطور العفوى المجال أمام السياسة الهادفة الواعية التى تتوافق مع المصالح الحيوية للطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين ذوى الميول الوطنية وأوسع الفئات الديموقراطية الوطنية . وفى الوقت الحاضر أخذت بعض البلدان فى أفريقيا الاستوائية والجنوبية تسير فى طريق الوجهة الاشتراكية . فقط فى النصف الأول من العقد الثامن انضمت إلى هذه البلدان مدغشقر وأثيوبيا وانغولا وموزمبيق وغيرها من البلدان . وينمو عددها باستمرار .

من شأن الحكومات الثورية الديموقراطية فى دول الوجهة الاشتراكية أن تحقق مجموعة واسعة من التحولات المعادية للامبريالية والاقطاع والرأسمالية ، وتؤمن التقدم المطرد نحو الاشتراكية وتوفر الظروف السياسية والمادية والاجتماعية الضرورية للانتقال إلى بناء الاشتراكية مباشرة . وخلافا للأنظمة البرجوازية القومية الاستعمارية

الجديدة القائمة فى البلدان الأفريقية ذات الاتجاه الرأسمالى ، والتى تلجأ عادة إلى الأساليب المعادية للشعب أو تستخدم ، فى أحسن الحالات ، الوصفات الاصلاحية ، فإن الديمقراطيين الثوريين يستعملون الأساليب الثورية فيما يخص الامبريالية أو الطبقات والفئات الاستغلالية المحلية على حد سواء . . .

وفى الأعوام الأخيرة أخذت تتسارع فى العديد من بلدان أفريقيا عمليات نضج العوامل الخارجية والداخلية التى تؤمن الانتقال إلى طريق الوجهة الاشتراكية . أن المثل العليا الاشتراكية تغدو هدفا واقعيا للشعوب الافريقية المتزايدة العدد باستمرار . وستتعزز هذه العملية فى المستقبل أيضا ، إذ أنها تتوافق مع طابع واتساع حركة التحرر العالمية فى عصرنا ، ومع تزايد تأثير الاشتراكية العالمية والطبقة العاملة العالمية والحركة الشيوعية .

أن الوجهة الاشتراكية ، كما تدل تجربة البلدان التى تحققها فى الواقع ، تتسم بالعوامل التالية :

١ – اسقاط النظام الاستغلالى الاستعمارى الجديد وإنشاء دولة ديموقراطية ثورية وطنية ذات اتجاه معادى للامبريالية والرأسمالية ؛

٢ – تصفية السيطرة السياسية للامبريالية ، والحد من سيطرتها الاقتصادية مع القضاء عليها فى المستقبل ، وانتهاج سياسة تأميم الرأسمال

الأجنبي واشراف الدولة على نشاطه وإزاحته تدريجيا من مجال الاقتصاد الوطني ؛

٣ — القضاء على الاستغلال الاقطاعي وتحقيق التحولات الزراعية التدريجية ؛

٤ — الحد من القطاع الخاص الرأسمالي والاشراف عليه ،

٥ — إنشاء قطاع عام وحركة تعاونية ، وتأمين الظروف لنموهما بنجاح في الصناعة والزراعة ؛

٦ — النضال ضد ايديولوجية المستغلين ، بما فيها جميع أشكال ومظاهر العداء للشيوعية ، ومن أجل ترسيخ أفكار الاشتراكية العلمية ؛

٧ — إجراء الاصلاحات الديموقراطية العامة مع المشاركة النشيطة من جانب الجماهير الكادحة على جميع المستويات ، والتعجيل بالتقدم الاجتماعي والثقافي ؛

٨ — السير على نهج تقدمي في السياسة الخارجية ، والتأييد الحاسم للنضال من أجل استقلال وأمن وحرية الشعوب ، في سبيل السلام والانفراج الدولي ، ومن أجل التحالف مع العالم الاشتراكي ؛

٩ — توفير الظروف لبناء الاشتراكية .

إن هذه الاجراءات لاتتسم بالعداء للامبرياليه وحسب ، بل وبالعداء للرأسمالية ، وتحمل طابعا تمهيديا للاشتراكية . وهي تتصدر ، بصورة لامندوحة عنها ، الصراع الطبقي بين القوى الرجعية المنادية بالاستعمار

الجديد والطريق الرأسمالى للتطور وبين القوى التقدمية المكافحة فى سبيل الاستقلال الوطنى الحقيق والتقدم الاجتماعى . أن تحقيق هذه التحويلات هو وحده الذى يتيح التعجيل بتطور البلدان الافريقية على طريق التقدم.

أن الشيوعيين يبذلون جميع قواهم من أجل تطبيق هذه الاجراءات بوصفها المرحلة الضرورية فى الطريق نحو المستقبل الاشتراكى . وهذه المهام توحدهم مع القوى الديموقراطية الثورية التى يعتبرونها رفاقهم فى السلاح . . .

آب (أغسطس) ١٩٧٨ « افريقين كوميونيست » ، ١٩٧٨ ، العدد ٧٥ .

المحتويات

رقم إيداع ٨٢/٥٣٨٦ الدولى ٩٧٧-٢٣٥-٦-٣

مطبعة الفجر الجديد

هــذا الـكتاب

● يشمل مقتطفات من كتابات ماركس وانجلز ولينين حول نظرية التطور الى الاشتراكية مع تخطى الرأسمالية أو ما يسمى أحيانا « بالطريق اللارأسمالى » وهى النظرية التى أثارت الكثير من الجدل خصوصا بين الثوريين فى بلاد العالم الثالث • ويتضمن الكتاب فى نهايته بعض الوثائق التى تشير الى تطبيق النظرية فى العمــــل •

ويخلص جامع هذه المقتطفات الى أن التحول الى الاشتراكية مع تخطى الرأسمالية أصبح ممكنا مع توافر بعض الظروف ، وذلك بعد قيام ثورة اكتوبر الاشـــتراكية العظمى فى روســـيا عـام ١٩١٧ •

وتتعرض هذه المقتطفات لهذه الامكانية من الناحية النظرية فى كتابات ماركس وانجلز ويتعرض لها لينين نظريا و التطبيقات على شعوب الشرق •



دار الثقافة الجدي

الثمن : محلى
تصدير